دائرة المعارف القرآنية

سلسلة مقالات نشرت في مجلة "الدوحة" القطرية

ما بين مارس 1982 وأوت 1986

بقلم:

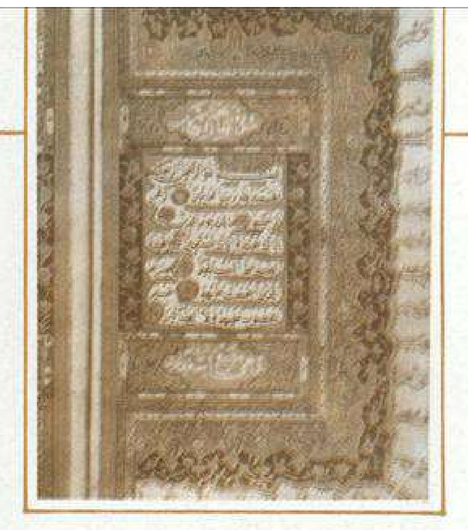
الدكتور محمد البهي

(2 جمادى الآخرة 1323 هـ / 3 أغسطس 1905م — 22 ذو القعدة 1402 هـ / 10 سبتمبر 1982م)

رحمه الله

فهرس المقالات حسب ترتيبها في الصدور

35	مايو - 1985	دائرة المعارف القرآنية: التهذيب في المعاملة
36	يونيو - 1985	دائرة المعارف القرآنية: تيسير الأمور على المطلقة
37	يوليو - 1985	دائرة المعارف القرآنية: في أدب الرجال والنساء
38	أغسطس - 1985	دائرة المعارف القرآنية: سبيل الله
39	أكتوبر - 1985	دائرة المعارف القرآنية: مسئولية الإنسان
40	نوفمبر - 1985	دائرة المعارف القرآنية: المثل في القرآن
41	ديسمبر - 1985	دائرة المعارف القرآنية: الكتاب المصدق
42	يناير - 1986	دائرة المعارف القرآنية: البينة
43	فبراير - 1986	دائرة المعارف القرآنية: الروح
44	مارس - 1986	دائرة المعارف القرآنية: مشيئة الإنسان
45	أبريل - 1986	دائرة المعارف القرآنية: كسب الإنسان
46	مايو - 1986	دائرة المعارف القرآنية: الإسلام دين الله
47	يونيو - 1986	دائرة المعارف القرآنية: القناعة
48	يوليو - 1986	دائرة المعارف القرآنية: العفو والصفح
49	أغسطس - 1986	دائرة المعارف القرآنية: الدعاء لله



دائرة المعارف القرآنية

بقلم : الدكتور محمد البهي

" الصدقة "

يأتى مفهوم : « الصدقة » فى بعض آيات القرآن الحكيم بمعنى : العطاء للطعام أو لغيره من رزق الله على الانسان ، لصاحب حاجة فى غير انتظار جزاء من أحد . يقول الله تعالى فى سورة المجادلة : « يا أيها الذين آمنوا : اذا ناجيتم الرسول (أى اذا اردتم التحدث اليه فى سرية فى شأن من الشئون التى تهمكم) فقدموا بين يدى نجواكم صدقة (أى فاعطوا عطاء لصاحب الحاجة قبل دخولكم الى المناجاة مع الرسول عليه السلام) ، ذلك خير لكم وأطهر ، فان لم تجدوا فان الله غفور رحيم (أى فاذا لم تجدوا ما تعطونه لأصحاب الحاجة فان الله مع ذلك سيسعكم بمغفرته ويشملكم برحمته) . » (آية : ١٢) .. فالصدقة هنا : هى العطاء القائم على المشيئة الفردية دون الالزام ، من صاحب الفضل فى الرزق . وربط الصدقة هنا بالدخول لمناجاة الرسول عليه السلام هو التماس مناسبة عزيزة على المؤمنين جميعاً لحمل الموسرين على سد حاجات الناس بمحض اختيارهم ، وهى مناسبة اللقاء مع الرسول صلوات الله وسلامه عليه .

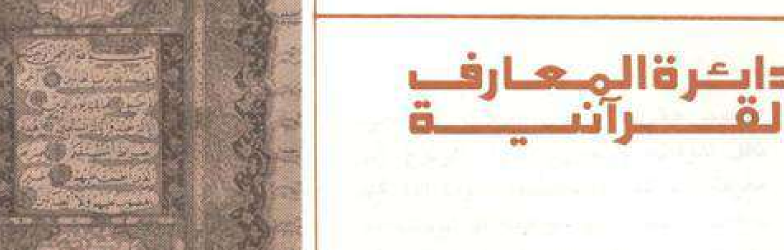
وربما يدخل فى مفهوم الصدقة دخولا أوليا ـ بجانب المشيئة فيها ، وعدم انتظار الجزاء من أحد عليها ـ أن يكون المعطى من طعام أو لباس . أى أن يكون مما يحتاج اليه صاحب الحاجة فى غذائه أو فى كسائه ، ومما يدفع به حد نفسه على الآخرين معه فى مجتمعه ممن يملكون تلبية حاجاتهم فى الأكل والكساء . لأننا لو رجعنا مثلا الى كفارة اليمين لوجدنا القرآن الكريم ينص على الطعام أو الكسوة من بين ما يطلبه فيها : « لا يؤاخذكم الله باللغو فى ايمانكم ، ولكن يؤاخذكم بما عقدتم الايمان فكفارته : اطعام عشرة مساكين من اوسط ما تطعمون اهليكم ، او كسوتهم ، أو تحرير رقبة ، فمن لم يجد فصيام ثلاثة أيام ، ذلك كفارة ايمانكم اذا حلفتم . » (المائدة : ٨٩) . وكذلك ينص على الطعام فى كفارة الظهار ، فى قوله تعالى « فمن لم يستطع فاطعام ستين مسكينا » . (المجادلة : ٤) .. والكفارة هنا هى التماس من الله جل شأنه : أن يغفر ذنباً أرتكب فى حقه سبحانه ، وهو عدم الوفاء بما أقسم الانسان بالله عليه . إذ القسم يعرض اسم الجلالة للزج به فيما ينبغى أن يصان عنه ، ولذا تستتبع آية الكفارة عن اليمين هنا قوله تعالى : « واحفظوا أيمانكم » عقب تحديد الكفارة .

والكفارة فى المعنى : هى صدقة . لأن المكفر عن ذنب لا ينتظر جزاء من أحد من البشر عليه . والطعام أو الكساء كلاهما اذن أقرب الى مفهوم الصدقة ، وليس معنى ذلك أنه لا يجوز التصدق بالمال أو بأى شىء آخر مما يملكه الانسان أو يتفوق فيه على غيره : من علم ، أو حكمة . ، انما فقط : اعطاء المال لصاحب الحاجة قد يحمله على ادخاره وكنزه ، ويظل مع ذلك محروماً .. ويظل مع ذلك ينفث حقده بسبب حرمانه على الآخرين معه . ولكن اذا كان عطاء المال ، أو عطاء العلم والتوجيه أو العلاج من مرض أو عجز ما ، سيحمل الفقير ، أو الجاهل أو غير المدرب ، أو المريض والعاجز : على عدم السؤال والحاجة الى الآخرين .. فان التصدق بأى منها أفضل من التصدق بالطعام أو الكساء ، لأن ذلك ذو ثمرة طويلة ، بينما هذا مؤقت .

وقد يأتى مفهوم الصدقة فى بعض آيات القرآن الكريم أيضاً بمعنى الزكاة ، التى هى عبادة وفريضة لازمة . يقول الله تعالى : « انما الصدقات للفقراء ، والمساكين ، والعاملين عليها ، والمؤلفة قلوبهم ، وفى الرقاب ، والغارمين ، وفى سبيل الله ، وابن السبيل ، فريضة من الله ، والله عليم حكيم » . (التوبة : ٦٠) .. لأن تحديد بعض المصارف هنا ـ بالاضافة لقوله فى آخر الآية : فريضة من الله ـ يعين أن تكون الصدقات هنا بمعنى الزكاة . فتحديد العاملين كمصرف .. والمؤلفة قلوبهم كمصرف آخر .. والغارمين كمصرف ثالث .. وفى سبيل الله كمصرف رابع .. وابن السبيل كمصرف خامس يوجب ان تكون الزكاة هى : المعنى من الصدقات هنا .

وربما يكون من أهداف التعبير عن الزكاة هنا بالصدقات : ان الزكاة وان كانت واجبة فهى مع ذلك كالصدقة التى تقوم على المشيئة وعدم الالزام : فى حسن جزاء الله عليها .. وفى أن أداءها لا يترقب عليه المزكى جزاء من أحد من البشر .

ARCHIVE
http://archivebeta.sakhrit.com



بقلم : الدكتور محمد البهي

"الكفَّارة"

● يقول الله تعالى فى سورة المائدة : « يا أيها الذين آمنوا : لا تقتلوا الصيد وانتم حرم (أى وانتم فى احرام بالحج أو العمرة) ومن قتله منكم متعمداً فجزاء : مثل ما قتل (أى جزاؤه مماثل فى القيمة لما قتل) من النعم يحكم به ذوا عدل منكم ، هديا بالغ الكعبة (أى ان المماثلة فى قيمة ما قتل من الصيد : اما من الانعام يحكم بها اثنان معروفان بينكم بالعدل ، على ان يرسل هدياً الى الكعبة : يذبح ويوزع هناك على اصحاب الحاجة) أو كفارة : طعام مساكين (واما كفارة من طعام يوزع على الفقراء هناك) أو عدل ذلك صياماً (واما ما يوازى الطعام من صيام ، على ان يكون صيام يوم فى مقابل طعام مسكين واحد) » . (المائدة : ٩٥) ..

فالآية هنا جعلت جزاء ما قتل من صيد الحرم ، من المحرم بالحج أو العمرة واحداً من ثلاثة أمور / التصدق بقيمته من الأنعام .. أو من طعام .. أو صيام ايام تساوى فى عددها : عدد من ينتفعون بالطعام . واطلقت : الكفارة على الطعام الذى يقدم للمساكين ، كما اطلقت : الهدى على الحيوان الذى يذبح ويوزع عليهم، والكفارة والهدى هنا ، كلاهما جزاء عما وقع من خطأ فى حق الله اثناء الأحرام . وهذا الخطأ هو قتل صيد الحرم الذى نهى الله عن قتله فى بداية هذه الآية فى قوله تعالى : « يا أيها الذين آمنوا لا تقتلوا الصيد وانتم حرم » .

ويقول الله تعالى فى سورة المائدة كذلك : « لا يؤاخذكم الله باللغو فى ايمانكم ولكن يؤاخذكم بما عقدتم الايمان فكفارته : اطعام عشرة مساكين من أوسط ما تطعمون اهليكم ، أو كسوتهم ، أو تحرير رقبة ، فمن لم يجد فصيام ثلاثة أيام ذلك كفارة ايمانكم اذا حلفتم » . (المائدة : ٨٩) .. فرتبت الآية على الحنث والخلف فى اليمين باسم الله : جزاء ، اطلقت عليه اسم الكفارة ، يتردد هذا الجزاء أولا بين اطعام عشرة مساكين وكسوتهم ، وتحرير انسان من رقه . ثم عند عدم الاستطاعة على أى واحد منها ينتهى الى صيام ثلاثة أيام . والحنث فى اليمين ينطوى على عدم الرعاية التامة لجلال المولى وعظمته . فهو ذنب فى جانبه .

ويلاحظ الآن : أن مفهوم الكفارة فى هاتين الآيتين يرتبط بصدقة على المساكين عند طلب العفو من الله والسماح منه ، فى أمر وقع خطأ فى جانبه سبحانه .

● ولكن لو قرأنا قول الله تعالى : « وكتبنا عليهم فيها : أن النفس بالنفس ، والعين بالعين ، والأنف بالأنف ، والأذن بالأذن ، والسن بالسن ، والجروح قصاص (أى مماثلة) فمن تصدق به (أى بالقصاص وتنازل عن حقه فيه وعفا عمن اعتدى) فهو كفارة له » . (المائدة : ٤٥) .. لو قرأنا هذه الآية لوجدناها اطلقت على التصدق بالقصاص والتنازل عنه : كفارة ، دون ان يكون هناك خطأ فى جانب المولى ، وقع ممن اعتبر له التنازل عن القصاص : كفارة منه . وهو صاحب الحق فى القصاص . ولكن عنصر الصدقة هنا باق فى مفهوم الكفارة : لأن المتنازل عن القصاص أحسن الى من يجب القصاص منه بالعفو عنه . والذى يعفو عن اخطاء الناس محسن اليهم . وليست الصدقة بالطعام وخلافه مما يقيم النفس : الا احسانا لمن يتصدق به عليهم ، وكذلك طلب العفو من الله كعنصر فى مفهوم الكفارة لم يزل هنا فى التنازل عن القصاص : باقياً كذلك . لأن عفو الانسان عن خطأ انسان آخر لا يتم فى حقيقة أمره الا بعفو الله وبرضاه .

واذن مفهوم الكفارة ـ كما يرد فى آيات القرآن الكريم ـ يعتمد على وجود صدقة تقدم بين يدى الله ـ أى تستهدف رضاء الله ـ قبل طلب العفو والسماح منه ، على خطأ تعلق به حق الله جل شأنه . فاذا اتجه الانسان الى الله ليطلب المغفرة منه على ذنب يتصل به سبحانه فليقدم صدقة يحسن بها الى اصحاب الحاجة امارة على أنه يولى الرعاية الاجتماعية حقها ، وعلى أن عامل الأنانية فيه قد ضعف، والكفارة بذلك : صدقة بقدر ما هى جزاء .. وقربى الى الله بقدر ما هى عنوان على التماس الصفح والرضا منه ، جل سبحانه ..

ARCHIVE http://Archivebeta.Sakhrit.com

دائرة المعارف القرآنية



بقلم : الدكتور محمد البهي

الغارمون

● جاء مفهوم الغارمين ــ فى القرآن الكريم ــ فى مصارف الزكاة : فى قوله تعالى :

« انما الصدقات للفقراء ، والمساكين ، والعاملين عليها ، والمؤلفة قلوبهم ، وفى الرقاب ، والغارمين ، وفى سبيل الله ، وابن السبيل » (التوبة : ٦٠) .

وفى عد الغارمين ــ وهو جمع غارم ــ ضمن من تصرف اليهم الزكاة : ما يفيد ثلاثة امور :

الأمر الأول : انهم افتقروا فاصبحوا فى حاجة إلى المال ، فجعلوا ممن يعوضون من الزكاة .

الأمر الثاني : انهم غرموا من أموالهم فى خير عام ، والا لما كانوا من بين المستحقين للزكاة .

الأمر الثالث : ان غرمهم من أموالهم فى سبيل الخير العام كان بارادتهم ، والزامهم هم : انفسهم ، والا لتحمل غرمهم : من كان سبباً فيه .

فالغارمون هم فريق من المؤمنين يسعى بينهم بالصلح ، ويسد الثغرات التى تفتحها الخلافات والخصومات . وفى سعيهم بين المؤمنين قد يتحملون غرماً ، اى ديناً من مالهم الخاص ، لعلاج هذه الخلافات والخصومات : كان يتحملوا دية قتيل .. أو حقاً لأحد الطرفين على الآخر . وبسبب تحملهم هذا الدين قد يصبحون من ذوى الحاجة . ولأنهم تدخلوا بما يرفع الشقاق بين المؤمنين ، ويعيد الترابط والمودة على أساس من الايمان بالله : كانت الجهة التى تغطى حاجتهم فى نظر القرآن : هى بيت المال . والزكاة هى الرافد فى تكوينه .

ونصت آية الزكاة على الغارمين ــ كما نصت على بقية المستحقين لها ــ حتى لا يقع تغيير فى مصارف الزكاة . وبذلك يبقى الحافز لأصحاب الهمم العالية من جانب ، والأثرياء من جانب آخر ، على التدخل بين المؤمنين لازالة ما يقع من سوء بينهم ، ولو كان هذا التدخل على حساب أموالهم .

وفى هذا المعنى ما يروى عن رجل جاء يسال النبى عليه الصلاة والسلام من الصدقة . فقال الرسول صلى الله عليه وسلم : « ان الله لم يرض بحكم نبى ، ولا غيره فى الصدقات ، حتى حكم فيها هو ، فجزاها ثمانية اجزاء . فان كنت من تلك الأجزاء اعطيتك حقك » .

● وينقل حديث عن الرسول صلى الله عليه وسلم يحدد ثلاثة أنواع من اصحاب الحاجة ياخذون من الزكاة . ولكن من بينهم نوع واحد ، وهو نوع الغارمين : ياخذ كل ما تحمل من دين . اما النوعان الآخران فياخذ كل منهما ما يسد حاجته . يروى عنه عليه السلام قوله : « ان المسالة (اى السؤال) لا تحل الا لأحد ثلاثة :

« رجل تحمل حمالة (اى تحمل ديناً فى سبيل الآخرين من الأمة) فحلت له المسالة حتى يصيبها (اى حتى يحصل على ما تحمله) ثم يمسك » .

« ورجل اصابته جائحة (اى كارثة : كسيل .. أو نار .. أو جفاف .. أو زلزال .. أو عواصف) فاجتاحت ماله (اى هلكته) فحلت له المسالة حتى يصيب قواماً من عيش أو سداداً من عيش (اى ما يقيم به نفسه ويسد به حاجته) .

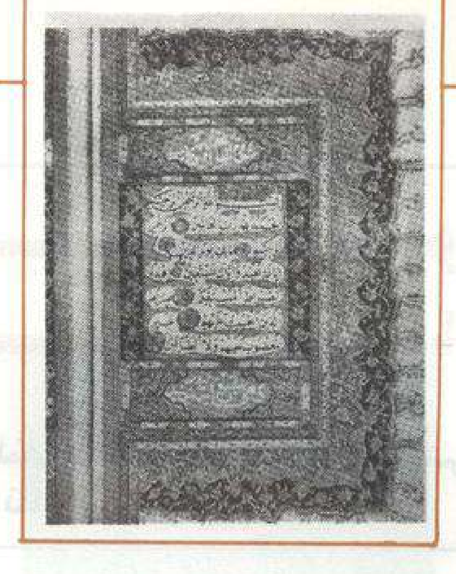
« ورجل أصابته فاقة (اى فقر شديد بعد غنى ويسار ، ولكن فى غير العبث والفساد) حتى يقول ثلاثة من ذوى الحجا (اى من العقلاء) من قومه : لقد أصابت فلانا فاقة ، فحلت له المسالة ، حتى يصيب قواماً ، أو سداداً من عيش » .. وهنا الزكاة اذا قامت بدور « التعويض » للأول .. فانها تقوم بدور التامين للثانى .. وبدور الضمان الجماعى للثالث .

والغارمون اذن عندما ينص عليهم فى مصارف الزكاة : ينص عليهم تقديراً لعملهم وهممهم العالية .. وتذكيراً لبقية المؤمنين فى المجتمع بأن واجب التكافل يقضى برعاية هؤلاء : اذ هم قدوة طيبة : فى ايمانهم ، وفى تطبيقهم هذا الايمان فى حياتهم مع غيرهم .

واذا كان الغارمون يغطى غرمهم او دينهم من الزكاة : فاجرهم بعد ذلك على ما قاموا به من عمل خير فى سبيل امتهم ، هو عند الله وحــــده . اذ هــؤلاء لا يرون ما ينفقونه : مغرماً . ولكن يرونه قربى الى الله : « ومن الأعراب من يتخذ ما ينفق مغرماً ، ويتربص بكم الدوائر ، عليهم دائرة السوء ، والله سميع عليم . ومن الأعراب من يؤمن بالله واليوم الآخر ويتخذ ما ينفق قربات عند الله ، وصلوات الرسول ، الا : انها قربة لهم ، سيدخلهم الله فى رحمته ، ان الله غفور رحيم » (التوبة : ٩٨/٩٩) .

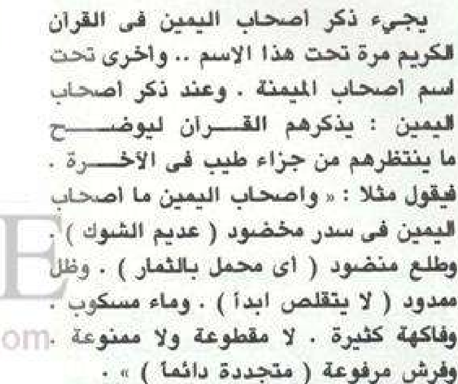
ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

دائرة المعارف القرآنية



بقلم : الدكتور محمد البهي

"أصحاب اليمين"



يجيء ذكر اصحاب اليمين فى القران الكريم مرة تحت هذا الاسم .. واخرى تحت اسم أصحاب الميمنة . وعند ذكر اصحاب اليمين : يذكرهم القران ليوضح ما ينتظرهم من جزاء طيب فى الآخرة . فيقول مثلا : « واصحاب اليمين ما اصحاب اليمين فى سدر مخضود (عديم الشوك) . وطلع منضود (اى محمل بالثمار) . وظل ممدود (لا يتقلص ابداً) . وماء مسكوب . وفاكهة كثيرة . لا مقطوعة ولا ممنوعة . وفرش مرفوعة (متجددة دائماً) » .

والمعنى أن اصحاب اليمين : جزاؤهم على عملهم فى الدنيا - انهم يقيمون بعد يوم الجزاء : فى جنة بين اشجار مختلفة ، مثمرة وغير مثمرة ، ليس فيها ما يؤذى بشوكه .. وظلها لا يذهب ابداً ، كما ان ثمار ما يثمر منها : كثيرة على طول العام لا يحرم منها شيء ما على اكله .. كما انهم ينامون على فرش متجددة يشعر النائم فوقها بمتعة مستمرة .. الخ . وذكر مثل هذه الأوصاف التى تدل على المتعة والترف ، فى مكان الاقامة لأصحاب اليمين ، يقصد منه بيان : أن العوض فى المتعة المادية فى الآخرة للمؤمنين اصحاب العمل الصالح ، يفوق ما يحرمون منه فى الدنيا : كما ، ونوعاً فى الاستمتاع ، فضلا عن ان حياة المرحلة الثانية - وهى حياة الآخرة اطول بكثير من حياة الدنيا لو قيست هذه بتلك : « كانهم يوم يرونها لم يلبثوا الا عشية او ضحاها » اى عندما يرى الكافرون بدين الله هول جزائهم فى الآخرة بعد قيام الساعة : يظنون انهم لم يمكثوا فى الدنيا ولم يستمتعوا بمتعها رغم وفرة المتع وطول الاستمتاع بها الا فترة قصيرة تساوى : عشية يوم او ضحاها . وهذا كناية عن منتهى ندمهم على ما اتجهوا اليه من كفر وصد عن سبيل الله فى دنياهم ، بعد ما رأوا واقع عذابهم فى الآخرة .

وعندما يذكرهم القران تحت اسم ، اصحاب الميمنة : يقصد الى اجمال صفاتهم فيقول فى سورة البلد فى الحديث عن الانسان .. وعما اعده الله به من ادراك الحس والنطق .. ووضحه له من طريقى الحق والباطل ، والخير والشر ، ومع ذلك يسلك بعض الناس طريق الباطل والشر ، بينما يسلك البعض الآخر منهم طريق الحق والخير :

لقد خلقنا الانسان فى كبد (اى خلقناه للصراع والمشقة) .

ايحسب أن لن يقدر عليه احد . ؟ (وهو يتصور او يتخيل ، بما اعد به فى خلقه من اجل الصراع والمشقة : انه ليس هناك قدرة فى الوجود تفوق قدرته . ولذا يكفر بمن عداه فى هذا الكون ، ولو كان الله سبحانه) .

يقول أهلكت مالا لبدا ،

أيحسب ان لم يره احد ،

الم نجعل له عينين ؟ ولساناً وشفتين ؟ وهديناه النجدين ؟ (وهو فى كفره بالله لا يتذكر ائنئذ : نعمة الله عليه فى خلقه وتركيبه ، واعداده للصراع فى هذه الحياة .. لا يتذكر اعداده العينين ، كمصدر لادراك الحس .. ولا اعداده باللسان والشفتين كمصدر للنطق والتفاهم او الجدل .. ولا معاونته بالرسالة الالهية التى تنير له طريق الحق من طريق الباطل .. اى الطريق الصعب وهو طريق الانسانية ، والطريق الآخر وهو طريق الانانية واللاانسانية) .

فلا اقتحم العقبة (ومن اجل انه لا يتذكر هذه النعم عليه فهو يسلك الطريق الانانى اللاانسانى .. ولا يسير فى الطريق الآخر الذى يعبر سلوكه عن اتباع هداية الله) .

وما ادراك ما العقبة ؟ (والطريق الآخر هو الطريق الصعب الا على النفوس التى آمنت بالله حق الايمان به .. وهو الطريق الانسانى) .

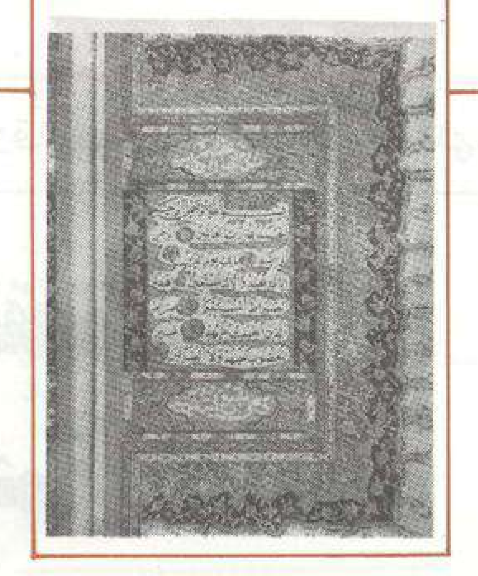
فك رقبة . أو اطعام فى يوم ذى مسغبة (مجاعة) يتيما ذا مقربة . او مسكينا ذا متربة (انه طريق تحرير الأرقاء اذا كانوا فى ملك احد .. أو طريق اطعام الاقرباء وهم صغار ممن لا آباء لهم يعولونهم ، وفى وقت تتفشى فيه المجاعة ... او اطعام اصحاب الحاجة ، وقد اصابتهم فى وقت لا يملكون فيه شيئا اطلاقا) .

ثم كان من الذين امنوا ، وتواصوا بالصبر ، وتواصوا بالمرحمة (ومع سلوك هذا الطريق الانسانى فان الذين سلكوه كانوا : مؤمنين بالله .. كما كانوا يتواصون بالصبر فيما بينهم بعد ان يمارسوه عند مشقة الحياة وازماتها .. ويتواصون بالعمل الطيب المهذب بعد ان يؤدوه على نحو ما أدوه من عتق الأرقاء .. واطعام اليتامى الأقرباء .. واصحاب الحاجة ممن اشتد وطؤها عليهم) .

اولئك اصحاب الميمنة (فهؤلاء الذين يعترفون بنعمة الانسانية عليهم من الله تعالى - وهى نعمة الادراك والمنطق - وبنعمة الهداية الالهية الى طريق الحق فى الرسالة : فيؤمنون بالله .. ويدربون انفسهم على التحمل ، على مشاق الحياة .. ويعطون من انسانيتهم لغيرهم : يعطون من اموالهم لأصحاب الحاجة .. ويعطون من تهذيبهم فى معاملة من عداهم .. هؤلاء هم اصحاب الميمنة .. اى اصحاب المنزلة فى الجزاء من الله ، تضاهى منزلة من يكون له الجلوس على يمين صاحب الشان وهى منزلة ادبية يشرف بها صاحبها ، اكثر مما يشرف بكثرة ماله ... او بقوة عصبيته ، او سلطانه) .

واصحاب اليمين اذن :هم المؤمنون بالله .. الصابرون عند الشدائد والأزمات العاملون للصالحات ، والسالكون طريق الاحسان وهو طريق الانسانية .. والبعيدون عن الأنانية وطغيانها .

وجزاؤهم عند الله هى جنته .. ومنزلتهم لديه هى منزلة الجالسين على يمين العرش .



دائرة المعارف القرآنية

بقلم: الدكتور محمد البهي

الرقاب

القرآن الكريم يعرض لمفهوم: الرقاب ـ وهو جمع رقبة ـ فى مناسبات عديدة: يعرض له فى كفارة القتل الخطأ، فى قول الله تعالى: « ومن قتل مؤمناً خطأ فتحرير رقبة مؤمنة، ودية مسلمة الى أهله » (النساء: ٩٢).

ويعرض له فى كفارة اليمين والحلف بالله، فيما يقوله: « لا يؤاخذكم الله باللغو فى ايمانكم، ولكن يؤاخذكم بما عقدتم الايمان، فكفارته: اطعام عشرة مساكين من اوسط ما تطعمون اهليكم، أو كسوتهم، أو تحرير رقبة » (المائدة: ٨٩).

ويعرض لهذا المفهوم كذلك: فى كفارة الظهار: « والذين يظاهرون من نسائهم (أى يلحقون نساءهم فى الحرمة عليهم: بأمهاتهم. وكان ذلك شائعاً فى الجاهلية، وبقى من رواسبها، بعد التحول إلى الايمان بالله) ثم يعودون لما قالوا: فتحرير رقبة من قبل ان يتماسا » (المجادلة: ٣).

ثم يعرض له ايضاً فى أعمال البر العام فيقول: « واتى المال على حبه (أى حب الاتيان للمال): ذوى القربى، واليتامى، والمساكين، وابن السبيل، والسائلين، وفى الرقاب » (البقرة: ١٧٧).

واخيراً بذكره فى مصارف الزكاة فى قول الله تعالى: « والعاملين عليها، والمؤلفة قلوبهم، وفى الرقاب » (التوبة: ٦٠).

فالقرآن يعرض لتحرير الرقاب .. أى لتحرير العبيد والأرقاء من ملك اسيادهم ومن قبضتهم على رقابهم: فى مجالات الدعاء لله لغفران ذنب قد ارتكب .. أو فى عمل خير عام .. وفى بيان مصرف الزكاة الواجبة الأداء. وهى مناسبات رأى فيها التشريع القرآنى: أن يفيد منه فى اعادة الحرية والاعتبار البشرى لمن يتجر بهم من الارقاء فى اسواق النخاسة. وكان الاتجار بهم حرفة ومهنة. وكان تملكهم ترفا، أو لاداء حاجة من عمل لا ينقطع.

ويطلق على الأرقاء أو العبيد: رقاباً، كان أيدى أسيادهم لا تنفك فى قبضتها على رقابهم. وبذلك يفقدون حريتهم .. وكرامتهم البشرية.

● والقرآن اذ يعدد المناسبات التى يطلب فيها تحرير الرقاب، ويتخذ من كفارات القتل الخطأ .. واليمين .. والظهار، ومن مجال البر .. ومصرف الزكاة .. اسباباً لحمل المؤمنين على عتق الأرقاء من ملك يمينهم .. واعادة الحرية الانسانية لهم: فلأنه يحرص تمام الحرص على الحرية الفردية، والكرامة الانسانية لكل عضو فى المجتمع.

وهو اذ يدعو الى تحرير الأرقاء فى هذه المناسبات العديدة: قد لا يتصور فى جانبه اطلاقاً: أن يشجع تجارة الرقيق، كما كان على العهد الماضى قبله.

واشبه برقيق الأمس الذى يملكه سيد له ويحول بملكيته: بينه وبين حريته: صنوف الاستعمار المختلفة للشعوب اليوم. بل الاستعمار ادخل فى معنى الرق .. والشعوب المستعمرة ادخل فى معنى الرقاب ولذا لم يوجد اليوم سيد مالك، ولا عبد رقيق على نحو الماضى: فصرف الزكاة باسم الرقاب .. وما جاء فى مجال البر العام .. أو فى الكفارات المتعددة، يمكن ان يحول لتحرير الشعوب والجماعات الاسلامية، التى أصيبت بلون من الوان الاستعمار: الفكرى .. أو الاقتصادى .. أو العسكرى.

والجهل كذلك: شبيه بالرق، فى انه يقيد حرية الجاهل وامكانياته البشرية. ومحاربة الجهل لذلك تقرب من معنى: عتق الرقيق، فى أن يوجه اليها مصرف الزكاة الخاص بالرقاب، وكل ما جاء هنا فى أسباب معاونة الرقيق على استرداد حريته البشرية.

والرقاب اذن بالمفهوم التقليدى: هى العبيد والأرقاء الذين هم فى ملك اسيادهم، ملكاً شخصياً. ولكن بالمفهوم الأعم: هم الأفراد، والشعوب الذين يتمكن من تقييد حريتهم: نظام تسلط معين .. أو جهل يغطى انظارهم وبصائرهم: عن أن يروا الواقع على حقيقته، ولذا لا يستطيعون التحرك فيه، ولا الافادة منه.

والزكاة للأرقاء اذن تقوم بدور « التحرير » لهم .. أو المساعدة لهم على استرداد حرياتهم.



بقلم : الدكتور محمد البهي

« الفقراء »

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

يقول الله تعالى فى سورة فاطر : « يا أيها الناس أنتم الفقراء الى الله والله هو الغنى الحميد » .. فيصف الله نفسه بانه الغنى : فى وجوده .. وفى بقائه عن كل موجود عداه .. وأنه الذى يحمد ويثنى عليه ، لأن جميع ما سواه مرتبط فى وجوده وفى بقائه ، به سبحانه وتعالى . واذا كان الله له الكمال المطلق فى كل ما يتصف به فوصفه بالغنى الآن يقصد به : الغنى المطلق ، أو الغنى الكامل .

فاذا اخبرت هذه الآية ، فى جملتها الاولى : بان الناس هم أصحاب الحاجة إلى الله : فى وجودهم وفى بقائهم وفى ارزاقهم . وحاجتهم إلى الله حاجة ماسة وضرورية . لان ذلك هو المقابل لغنى الله المطلق .

وعلى هذا النحو قوله تعالى : « ومن يبخل (اى بالانفاق على غيره ابتغاء وجه الله) فانما يبخل عن نفسه ، والله الغنى ، وانتم الفقراء » .. ففقر الناس فى الارزاق هو حاجتهم الشديدة فيها الى الله . وغنى الله عن كل ما سواه : هو بعده المطلق عن الحاجة .

والفقراء اذن هم أصحاب الحاجة الشديدة والماسة الى غيرهم : فى وجودهم وفى ارزاقهم ، والى الله ، والى من سواه من أصحاب الثراء ، ان كان فقرهم فقر مال .

والفقر هو الحاجة الشديدة او الماسة التى تلحق بالانسان . والانسان اذا سائل : وقوله تعالى : « وأما السائل فلا تنهر » .. يريد بانسائل : الفقير او صاحب الحاجة الشديدة . وما يطلبه القرآن هنا ليس هو اعطاء السائل .. وانما عدم نهره ورده بغلظة : « فلا تنهر » .. وقد لا يسال الفقير متعففاً . ولكن يعرف فقره ، وتعرف حاجته الشديدة : فى وجهه .. وفى ملبسه . وقد وصف القرآن هذا النوع من الفقراء فى قول الله تعالى : « للفقراء الذين احصروا فى سبيل الله (اى الذين ضاق وقتهم بسبب الدعوة الى دين الله) لا يستطيعون ضرباً فى الارض (اى ومن اجل انشغالهم بالدعوة لا يتمكنون من السعى فى الأرض تجارة .. او زراعة .. من اجل الرزق) يحسبهم الجاهل : اغنياء من التعفف تعرفهم بسيماهم (بتحول ابدانهم وشحوب وجوههم .. واهمال ملابسهم) لا يسالون الناس : إلحافاً (اى لا يلاحقونهم بالسؤال اينما ساروا .. واينما كانوا) ... »

وجاء مفهوم الفقر فى القرآن بهذا المعنى فى قول الله تعالى : « الشيطان يعدكم الفقر (اى يخيل للذين ينفقون من أموالهم فى سبيل الله : انهم سيصبحون بسبب إنفاقهم : من ذوى الحاجة الشديدة . ولا يمكن لأحد التاثر بخداع الشيطان الا اذا خيل للمنافقين : انهم سيفقدون جميع ما يملكون – وليس بعضه – وان ايديهم ستلصق بالتراب ، ان هم انفقوا) ويامركم بالفحشاء (وفى الوقت نفسه : يوجههم الى إنفاق أموالهم فى صنوف السوء والفحشاء) ، والله يعدكم مغفرة منه ، وفضلا (اى بينما الله يعدكم امرين ، على النقيض مما وعدكم به الشيطان : يعدكم بالعفو عن ذنوبكم الماضية وبالاخص عن البخل .. كما يعدكم بنمو اموالكم وزيادتها ، ان انفقتم فى سبيل الله) والله واسع عليم (واسع فى القدرة والفضل .. وعليم بمستقبل اموركم ، ومستقبل الوجود كله) ... »

وهكذا : الفقير من لا ملك له .. ولا كسب له : لعجز .. او لشيخوخة. والفقير يعطى من الصدقات – وهى الزكاة – ما يسد حاجته ، تطبيقاً لمبدأ التكافل .. وتخفيفاً عن حقده على من يملكون المال .. او الصحة والقدرة على العمل .

وهكذا بالزكاة يدعو الاسلام الى الترابط على أساس انسانى .. وليس على اساس المبادلات فى المنافع ، والمتع المادية ، والمصالح الشخصية .

دائرة المعارف القرآنية





ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

ياتى هذان المفهومان فى بعض آيـــات القران مرتبطين بمعنى الرافة وعدم الحرج لمفهوم اليسر .. وبمعنى المشقة والمكروه لمفهوم العسر . فيقول تعالى فى ســـورة البقرة :

فمن شهد منكم الشهر (اى شهر رمضان) فليصمه .

ومن كان مريضاً او على سفر فعدة من ايام اخر (اى فرخص له بالافطار على ان يعيد صوم ما افطره فى أيام اخرى لا يكون فيها مريضاً . ولا مسافراً) .

يريد الله بكم اليسر (اى يريد بترخيص الأفطار فى هاتين الحالتين : الرافة وعدم الحرج لكم فى حياتكم) .

ولا يريد بكم العسر (اى ولا يريد بكم المشقة ، والزامكم بما من شـــانه : ان لا يحتمل) ..

ويأتيان فى بعض آيات اخرى مرتبطين بمعنى : الإنفراج والسهولة ، وينتهى الى رضاء الله لمفهوم اليسر .. وبمعنى الشدة والتعقيد ، وينتهى الى العذاب فى الآخرة لمفهوم العسر . يقول تعالى فى سورة الليل:

فاما من اعطى (اى اعطى لصاحب حاجة معه فى امته : من ماله .. او علمه .. او صحته .. او جـــاهه) واتقى (اى وتجنب المنكر .. والجرائم .. والآثام) . وصدق بالحسنى (اى وآمن بالقيم العليا فى حياة الانسان .. آمن بالمودة ، والاخوة والتعاون ، والرحمة .. الخ) . فسنيسره لليسرى (اى فسيصير امره فى حياته : الى السهولة فى معاملة الناس له وسلوكه معهم ، لأنه يعطى من نفسه .. ويصدق بالعلاقات الطيبة معهم .. وينتهى امره فى الآخرة الى رضاء الله ونعيمه) .

واما من بخل (فتحكمت فيه انانيته .. وامسك عن الآخرين وعاش لنفســـه فقط مع طاقاته العديـــدة التى تفيض عن حاجته) واستغنى (اى بنفسه .. وطاقاته .. وماله .. وعصبيته عن الناس والترابط الطيب معهم) وكذب بالحسنى (ومن اجل واستغنائه بنفسه عن الآخرين : لا يؤمن بالمودة ، والأخوة ، والتعاون .. وبقية القيم العليا فى حياة الانسان) فسنيسره للعسرى (اى فسينحدر امره فى حياته الى الشدة والتعقيد فى معاملة النـــاس له وسلوكه هو معهم .. سيجره وضعه فى الحياة الى ان يكون مكروها منهم .. مساء فهمه .. ومصوباً اليه حقدهم عليه .. وينتهى مصيره فى الآخرة الى غضب الله عليه وعذابه اياه) ..

وفى سورة الشرح قوله تعالى :

فان مع العسر يسراً . ان مع العسر يسراً .. ياتى العسر بمعنى الازمة والشـــدة .. واليسر بمعنى الانفراج وزوال الضـــيق والحرج .

واقتران اليسر بالعسر هنا : « فان مع العسر يسراً » .. وتكرار هذا الاقتران : ان مع العسر يسراً » .. ليفيد : ان مبدأ الحياة الانسانية كقانون يحكمها ويمثل ارادة الله هو : ان مع وجود الازمة والضيق فى حياة اى انسان توجد بالفعل فى حياته ايضاً : حالة الفرج واقتراب زوال الضيق والحرج . فالعسر لا يوجد وحده منعزلا عن فرج الله ويسره . وانما العسر كظلام الليل يتحول قليلا قليلا الى ضياء الفجر .. ثم الى ضياء النهار . فكذلك العسر يتحول تدريجياً وعلى ممر الوقت الى يسر وخلاص من الضيق . ومن ثم لا ياس فى حياة اى انسان . بل الأمل قوى فيها . والعامل الرئيسى فى تبديد اليأس .. وفى الانتقال من العسر الى اليسر .. اى فى الانتقال من الأزمة والشدة والخروج منهما : هو عامل الايمان ، الذى يعتبر الصبر فيه ضرورة لوجوده .

وما ينتهى اليه هنا مفهوم العسر : من الأزمة والشدة .. وكذلك ما ينتهى اليه مفهوم اليسر : من الانفراج وعدم الضيق : يكاد يكون الأصل فى كل منهما . وما جاء بعد ذلك فى الآيتين السابقتين هو توضيح لذلك حسب مقام الحال الذى يكتنف كل آية منهما .

وعبادة الصوم هى لتعويد الانسان على الصبر فى اجتياز العسر .. والاعتدال فى المسلك وعدم الاسراف فى امكانيات الحياة هو لامتداد أجل اليسر فى حياة الانسان .

دائرة المعارف القرآنية

بقلم: الدكتور محمد البهي



فقد العالم الاسلامي في الشهر الماضي عالما جليلا هو الدكتور محمد البهي وزير الأوقاف وشئون الازهر الأسبق في مصر، الذي كان قد خص مجلة الدوحة بهذا العمل الجليل منذ اكثر من عام، والذي نوالي نشره، حتى لا نحرم القراء من متابعة هذا العمل الكبير الذي تعرفنا من خلاله على أهم المفردات التي جاءت في القرآن الكريم، والتي وضعها الدكتور البهي تحت عنوان: دائرة المعارف القرآنية.



"البيع"

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

● ياتي: « البيع » في بعض آيات القرآن الكريم، ويراد به التبادل المعنوي أي القيام بامر ومباشرته في مقابل جزاء متعادل معه. يقول الله تعالى: « إن الله اشترى من المؤمنين: انفسهم واموالهم، وبان لهم الجنة، يقاتلون في سبيل الله فيقتلون ويقتلون، وعدا عليه حقاً في التوراة والانجيل والقرآن، ومن اوفى بعهده من الله، فاستبشروا ببيعكم الذي بايعتم، وذلك هو الفوز العظيم » .. فسمت الآية هنا: الجهاد في سبيل الله بالنفس والمال مقابل جزاء للمجاهد بالجنة في الآخرة بيعا: ووصفت الانسان المجاهد بانه بائع، كما وصفت جزاء الله له بانه شراء وكأن هنا صفقة فيها بيع وشراء، وفيها بائع ومشتر .. وكان هنا عقداً بين طرفين: فيه مبادلة متعادلة. وما تذكره الآية هنا على هذا النحو هو تقريب لوضع الجهاد ولكل عمل في سبيل الله، وتوضيح: انه لايمر بغير مقابل مجز من الله. بل ان الذي يباشره لو كان يتعاقد عليه مع آخر ويبتغي الربح من ورائه: لكان ربحه هنا من الله أعظم: « وذلك هو الفوز العظيم ».

ومن هنا جاءت: « المبايعة ». كما في قوله تعالى: « إن الذين يبايعونك إنما يبايعون الله، يد الله فوق أيديهم، فمن نكث فانما ينكث على نفسه، ومن اوفى بما عاهد عليه الله فسيؤتيه اجراً عظيماً » .. فالمبايعة هنا عطاء، واخذ .. هي عهد على الايمان بالله والنصرة له من جانب، والوفاء بالجزاء على العهد من جانب آخر: « ومن اوفى بما عاهد عليه الله فسيؤتيه اجراً عظيماً » .. واستعمال المبايعة هنا كذلك هو للتقريب والتوضيح، واستبعاد: أن يكون هنك بخس في التعادل بين المؤمن بالله وجزاء الله له.

● وياتي البيع ايضاً في بعض آيات القرآن الأخرى: المبادلة المادية والعطاء والأخذ، والتسليم والتسلم الماديين. يقول الله تعالى: « يا أيها الذين آمنوا إذا نودي للصلاة من يوم الجمعة فاسعوا الى ذكر الله، وذروا البيع ذلكم خير لكم إن كنتم تعلمون. فاذا قضيت الصلاة فانتشروا في الأرض وابتغوا من فضل الله، واذكروا الله كثيراً لعلكم تفلحون » .. فما امر المؤمنون بتركه هنا وقت الجمعة: هو صنوف المبادلات المادية من اجل الرزق والمعيشة، على أن يستانفوا بعد الصلاة كل وسائل السعي في سبيل الرزق. ومنها المبادلة او التجارة.

● وإذا اخذ مفهوم البيع الآن: معنى المبادلة، اي التبادل بين العطاء والأخذ، والتسليم لشيء واخذ شيء آخر بدلا منه .. فانه جزء من مفهومه كذلك: التعادل بين ما يعطى وما يؤخذ. يقول الله تعالى: «واحل الله البيع وحرم الربا » .. ففي تحريم الربا وهو الزيادة بين طرفي المبادلة: ما يعطي الصورة لطبيعة البيع الحلال. وهو قيامه على التعادل، حسب استطاعة الانسان في التقدير. وعلى الأقل: قيامه على عدم البخس الظاهر في المعادلة والتعادل إذن إن كان السبب في حل مبادلة البيع .. فالزيادة في احد طرفي المعادلة في عقد الربا هي السبب في حرمته. ولكنها زيادة مشروطة بانها ناتجة عن اكراه الحاجة وقبول المحتاج في عقد المبادلة.

وهكذا: البيع كما ياتي في القرآن تعبيراً عن مبادلة معنوية، ياتي كذلك تعبيراً عن مبادلة مادية، كصورة من صور التجارة في الأخذ والعطاء في سبيل تحصيل الرزق ولقمة العيش.

دائرة المعارف القرآنية



بقلم : الدكتور محمد البهي



يجـيء البخـل في أيات القران الكريم بمعنى : الامساك والمنع عن انفاق المال على النفس ، او على الآخرين ، وليس بمعنى الطبع المؤدي للمنع ، الذي هو الشح .

فيقول الله تعالى فى سورة الليل : وأما من بخل واستغنى (أي امسك عن انفاق المال ، ورأى الاستغناء بامساك المال وجمعه : عن الناس ، وعمل الخير) وكذب بالحسنى (وتبعاً لما رآه من الاستغناء بجمع المال وعدم انفاقه : يكذب باثار العمل الخير وبما يحسن الى الآخرين) . فسنيسره للعسرى (اي فسينتهي امره الى الشدة والأزمات فى علاقة الآخرين معه فى مجتمعه ، بسبب حقدهم عليه وتربصهم للنيل منه ، فضلا عن شدة العذاب المرتقب له فى الآخرة) .. فالبخل اتى هنا بمعنى انفاق المال بوجه عام .

ويخاطب القرآن المؤمنين فى سورة محمد ـ عليه السلام ـ بقوله : يا أيها الذين آمنوا : أطيعوا الله ، وأطيعوا الرسول ، ولا تبطلوا اعمالكم . إلى أن يقول : انما الحياة الدنيا لعب ولهو (أي لا ثبات لها ولا اعتداد بها) وان تؤمنوا وتتقوا يؤتكم اجوركم (والأجور هي جزاء الايمان والتقوى فى الآخرة) ولا يسألكم أموالكم (أي لا يطلب منكم فى دنياكم مع الايمان والتقوى : التنازل عن الاموال ، بحيث يخل التنازل عنها جميعاً بمعاشكم . ولكن ما يطلب من أموال المؤمنين هو جزء يسير منها لمعاونة أصحاب الحاجة فى مجتمعهم) . إن يسألكموها فيحفكم (لأن الله يعلم : انه إذا طلب منكم المال فان الطلب سيكون له كله) تبخلوا ويخرج أضغانكم (وعندئذ إذا ما طلب المال كله منكم فانكم تبخلون به أي تمنعونه وتمسكونه عن الاعطاء وفى الوقت نفسه سيظهر مافي اعماق نفوسكم من الكراهية لدين الله ولرسوله عليه السلام حقداً عليهما ، بسبب احراجكم فى اموالكم بالتنازل عنها جميعها) . ها انتم هؤلاء تدعون لتنفقوا فى سبيل الله (باخراج الزكاة فى حدود ما يساوي ربع العشر للمال) فمنكم من يبخل (ومع ذلك فبعض منكم يمسك عن الانفاق والعطاء فكيف إذا طلب المال كله ؟ .. او على الأقل تراوده نفسه بالتردد فى الانفاق) ومن يبخل فانما يبخل عن نفسه (ولكن من يمسك عن انفاق هذا الجزء اليسير ـ وهو ما يعبر عن الزكاة الواجبة ـ فانما فى واقع الأمر : ضرر امساكه يعود على نفسه وحده . اي ان عقوبة الامساك للمال عن الانفاق فى سبيل الله تعود على الممسك وحده)

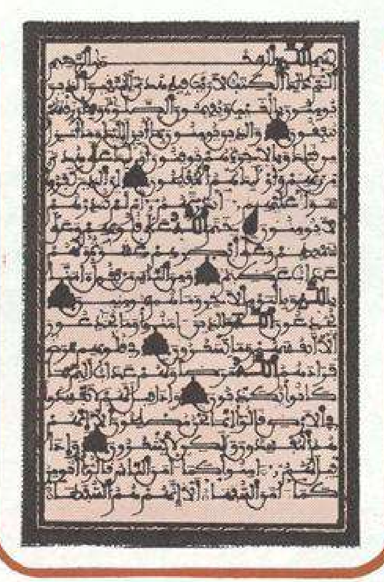
وقد جاء التصريح بذلك فى قول الله تعالى : ولا يحسبن الذين يبخلون (اي من المؤمنين) بما آتاهم الله من فضله هو خيراً لهم ، بل هو شر لهم ، سيطوقون ما بخلوا به يوم القيامة .. والله الغني وانتم الفقراء (ولم يكن طلب هذا الجزء القليل من اموال المؤمنين كزكاة لأصحاب الحاجة بينهم .. بسبب احتياج الله سبحانه وتعالى . بل الله هو الغني دائماً ، ومن عداه من الناس جميعاً هم فقراء إليه دائماً . ولكن بسبب الترابط بين افراد الأمة وعدم حقد صاحب الحاجة على مافى يد صاحب الثراء) .

وجاء البخل كذلك بمعنى الامساك ومنع الانفاق للمال على العموم فيما يقصه القرآن من شان المنافقين كصفة من صفاتهم فى قول الله تعالى : ومنهم (اي من المنافقين) من عاهد الله : لئن آتانا من فضله لنصدقن ولنكونن من الصالحين . فلما آتاهم من فضله بخلوا به (اي امسكوه عن الانفاق) وتولـوا وهم معرضون (اي عن طاعة الله وتنفيذ ماعاهدوه عليه ، من الانفاق والصلاح) فاعقبهم نفاقاً فى قلوبهم الى يوم يلقونه ، بما اخلفوا الله ما وعدوه ، وبما كانوا يكذبون .

وإذا كان البخل بمعنى الامساك ومنع المال ياتي من المؤمن والمنافق .. فان الشح وهو طبع للانسان يكون من المادي الذى يؤمن بنفسه وحدها ، دون أن يؤمن بالله واليوم الآخر .

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

دائرة المعارف القرآنية



بقلم : الدكتور محمد البهي

"الغنيمة"

يقول الله تعالى فى سورة الفتح :
« لقد رضى الله عن المؤمنين اذ يبايعونك تحت الشجرة (وكان هذا فى صلح الحديبية قبيل فتح مكة مباشرة) فعلم ما فى قلوبهم فانزل السكينة عليهم ، واثابهم فتحاً قريباً (وهو فتح مكة) . ومغانم كثيرة ياخذونها وكان الله عزيزاً حكيماً . وعدكم الله مغانم كثيرة تاخذونها فعجل لكم هذه (غنائم خيبر) وكف أيدى الناس عنكم (وهم اليهود فى شمال المدينة) ، ولتكون آية للمؤمنين ويهديكم صراطاً مستقيماً . وأخرى (أى ومغانم اخرى) لم تقدروا عليها (فى بداية غزوة حنين فى الجولة الأولى فيها) قد احاط الله بها (أى لم يدع الله هذه الغنائم الاخرى فى حنين تفلت من نطاق قدرته حتى أخذها المؤمنون فى جولتهم الثانية التى انتهت بالنصر لهم على هوازن وثقيف فى موقعة ما بين الطائف ومكة) وكان الله على كل شىء قديراً » .

وتتحدث هذه الآيات الأربع عن مغانم – وهى جمع مغنم . والمغنم والغنيمة واحد – وعد الله بها المؤمنين . وهى أموال مختلفة يحصلون عليها من اعدائهم . وفى الوقت نفسه تشير هذه الآيات ذاتها الى موقعتين اشتبك المؤمنون فيهما بالقتال مع اعدائهم : واقعة خيبر فى السنة السابعة من الهجرة ، بعد صلح الحديبية بسنة وهى التى أشير اليها هنا بقول الله تعالى :

« فعجل لكم هذه ، وكف ايدى الناس عنكم » وخيبر قرية تقع شمال المدينة الى الشام . وكانت ذات حصون ومزارع ، كما كان سكانها من اليهود ويمثلون راس اليهود عامة فى الحجاز . وقد اصابها المسلمون عنوة أى حصلوا عليها بقتال اليهود هناك حتى انتصروا عليهم ، واصبحت اموالهم غنائم لهم . والموقعة الثانية موقعة حنين فى جنوب مكة ، فيما بينها وبين الطائف . وهذه أشير اليها هنا فى قوله تعالى : « واخرى (اى ومغانم أخرى) لم تقدروا عليها ، قد احاط الله بها ، وكان الله على كل شىء قديراً » .. وما جرى فى حنين من تردد أمر المؤمنين فيها بين الهزيمة ثم النصر فالغنائم : يقصه الله جل شانه فى سورة التوبة فى قوله : « ويوم حنين اذ اعجبتكم كثرتكم فلم تغن عنكم شيئاً ، وضاقت عليكم الارض بما رحبت ثم وليتم مدبرين . ثم أنزل الله سكينته على رسوله وعلى المؤمنين ، وانزل جنوداً لم تروها ، وعذب الذين كفروا (أى بالقتل وبالأسر معاً) وذلك جزاء الكافرين » وغزوة حنين كانت فى السادس من شوال من سنة الفتح .

فالمغانم هى أموال للعدو ، حصل عليها المؤمنون ، ولكن ليس بطريق الصلح بل بطريق القتال والنصر فيه على الأعداء .

ولذا : يختلف الامر فى توزيعها عن توزيع الفىء الذى هو مال للعدو ، جاء عن طريق الصلح . فتوزع اربعة اخماس الغنيمة على المحاربين الذين اشتركوا فى القتال مع الأعداء . والخمس الباقى بعد ذلك يجزأ الى خمسة انصبة : لله (أى فى سبيل الله) وللرسول (اى يوضع تحت تصرفه عليه السلام) ولذى القربى (اى من قريش فى حياته من المهاجرين معه) واليتامى (وهم أولاد الشهداء المقاتلين) والمساكين وابن السبيل . وذلك على نحو ما تقول الآية : « واعلموا انما غنمتم من شىء فان لله خمسه ، وللرسول ، ولذى القربى ، واليتامى ، والمساكين ، وابن السبيل » ... واما بعد وفاة الرسول عليه السلام فيسقط سهمه ، وكذلك سهم ذوى القربى له . واذا اعطى ذوو القربى فيعطون بسبب الفقر فقط . ولا يعطى اغنياؤهم . ويقسم الخمس آنئذ على الأصناف الثلاثة اليتامى ، والمساكين ، وابن السبيل . واخماس الغنائم الاربعة الباقية تقسم بين الغانمين من المقاتلين : للراجل سهم ، وللفارس سهمان .

ويروى ان ابا بكر رضى الله عنه : « انه منع – فى خلافته – بنى هاشم الخمس . وقال : انما لكم أن يعطى فقيركم .. وتزوج أيمكم (والأيم غير المتزوج من الرجال والنساء ، تزوج من قبل أم لم يتزوج) .. ويخدم من لا خادم له منكم ومن عداهم فهو بمنزلة ابن السبيل : الغنى لا يعطى من الصدقة شيئاً .



بقلم : الدكتور محمد البهي

"الفَـــيْء"

يقول الله تعالى : فى سورة الحشر : « وَمَا أَفَاءَ اللَّهُ عَلَى رَسُولِهِ مِنْهُمْ (اى وما اعاده الله على رسوله من أموال أهل القرى حول المدينة وهم يهود بنى النضير) فَمَا أَوْجَفْتُمْ عَلَيْهِ مِنْ خَيْلٍ وَلَا رِكَابٍ (اى فما اعملتم ايها المؤمنون :

السير اليه على الخيل والابل ، اى ما تحملتم فى سبيله مشقة السفر ولكن وصلتم بأرجلكم الى هناك) ولكِنَّ اللَّهَ يُسَلِّطُ رُسُلَهُ على مَنْ يَشَاء (ولكن جاءت اليكم اموالهم بفضل المبدأ العام الذى يمثل ارادة الله ، وهو توجيه رسله .

وقد وجه الله سبحانه الرسول عليه السلام هنا لحصار بني النضير قرابة ثلاثة أسابيع فكان منهم الاستسلام والجلاء) وفي ذلك يقول القرآن الكريم :

« هو الذى أَخْرَجَ الذين كفروا من أهل الكتاب من ديـــــارِهِمْ لأول الحشر ، ما ظَنَنْتُم أن يخرجوا ، وظنوا أنهم مانِعَتهـم حصونُهُم من الله ، فأتاهم الله من حيث لم يحتسبوا وقذف فى قلوبهم الرعب ، يخَرِّبُون بيوتَهُم بأيديهم وأيدى المؤمنين ، فاعتبروا يا أولى الأبصار . ولولا أن كتَبَ الله عليهم الجلاءَ لعذبهم فى الدنيا ، ولهم فى الآخرة عذابُ النار . ذلك بأنهم شاقوا الله ورسوله ، ومن يشاق الله فان الله شديد العقاب ..) فالفـيء هو ما يعود من أموال الأعداء على المؤمنين من غير قتال معهم . اذ اطلقت الآية هنا اسم : الفيء على ما اخذه المؤمنون من المدينة على عهد الهجرة من اليهود فى قرية بنى النضير ، بعد أن استسلموا وأجلوا عن قريتهم . ولم يقع بين الطرفين اذ ذاك قتـــــال أدّى إلى الاستسلام والجلاء . وانما استعاض رسول الله صلى الله عليه وسلم عن القتال بحصارهم . فلما اشتد وقع الحصر عليهم اعلنوا الاستسلام والجلاء .

ولأن الفيْء مال عاد إلى المؤمنين من الأعداء بغير قتال : لا يُقَسَّم على نحو ما تُقَسَّم الغنائم التى تأتى عن طريق القتال وحده . أى لا يعطى للمحاربين نصيب منه وقد جاء مصرفه فى قوله تعالى فى سورة الحشر ايضاً : ما أَفَاء اللهُ على رسوله من أَهل القرى فلله ، وللرسول ، ولذى القربى (أى قرابة الرسول عليه السلام) ، واليتامى (أى ابناء الشهداء من المقاتلين) والمساكين وابن السبيل ، كى لا يكون دولة بين الأغنياء منكم (أى يوزع هذا التوزيع على أصحاب الحاجة حتى لا يقع فى أيدى الأثرياء فيزدادون ثـــــراء وغنى ، بينما يزداد المحرومون حرماناً)

وقد جاء الفـيْء بمعنى ما يعود من ملك للعدو – ولو كان مـن أشـــخاص الأعداء على المؤمنين بغير قتال في قوله تعالى : يا أيها النبي إنا أَحْلَلْنا لك أزواجك اللاتى آتيت أجورهن (أى مهورهن) وما ملكت يمينك مما أفاء الله عليك (أى مما عاد عليك من الاسيرات فى غزوة الأحزاب أو الخندق . وقد انتهى الأمر فيها بنصر المؤمنين فى غير قتال كذلك ، مما يشير اليه قوله تعالى)

ورد الله الذين كفروا بغيظِهِم لم ينالوا خيراً ، وكفى الله المؤمنين القتال وكان الله قوياً عزيزاً . وأنزل الذين ظاهروهم من أهل الكتاب (وهم اليهود فقد ظاهروا الماديين الوثنيين وهم مشركو العرب) من صياصيهم (أى من حصونهم) وقذف فى قلوبهم الرعب ، فريقاً تقتلون ، وتأسرون فريقاً وأورثكم أرضهم ، وديارهم ، وأموالهم ، وأرضاً لم تطأوها ، وكان الله على كل شىء قديراً ..

والفيْء يشترك إذن مع الغنيمة فى أن كلا منهما من أموال الأعداء . ولكنه يختلف عنها فى التوزيع وفى طريق الحصول عليه .

دائرة المعارف القرآنية



بقلم : الدكتور محمد البهي



"الشُّح"

يقول الله تعالى فى سورة التغابن : « انما اموالُكم واولادُكم فِتنة (اى امتحان واختبار لكم) . والله عنده اجرٌ عظيم . فاتقوا الله ما استطَعْتُم ، واسمعوا واطِيعُوا وانفِقُوا : خيراً لانفسِكُم ، ومن يُوقَ شُحَّ نفسِهِ فاولئك هم المفلحون . ان تقرضوا الله قرْضاً حسناً يضاعفْهُ لكم ويغفرْ لكم والله شكورٌ حليم » .. فطلبت هذه الآيات من المؤمنين ان يسمعوا نصح الله لهم بالانفاق من المال فى سبيل الخير .. ويطيعوه فيما نصحهم به وان يحموا انفسهم بالطاعة فيما نصحهم به من إنفاق المال فى سبل الخير : من شح النفوس . وهو طبع فى النفوس المريضة بالانانية يحمل على المنح والقبض على ما للانسان بحيث لا يصيب غيره ، وان كان ذا حاجة اليه .

فالشح ليس عادة تتكون فى الانسان . وانما هو جبلة فيه . ولا يذهب بالشح لدى انسان ما ، إلا إيمانه بالله .. وبان الله جل جلاله يضاعف للمنفق ما انفقه فى سبل الخير : « ان تقرضوا الله قرضا حسنا يضاعفه لكم » . وعندئذ تتكون لديه عادة الانفاق ، وتحل محل ما كان له من طبع الشح فيه .

وما جاء فى حديث القرآن عن الانصار فى يثرب ، فى علاقتهم بالوافدين المهاجرين اليهم من مكة ، بشأن ما كانوا يؤثرونهم به من أموالهم الخاصة مع حاجتهم القائمة اليه يدل على أثر الايمان بالله فى تحويل النفوس التى لها طباع الشح بحكم اتجاهها المادى الى نفوس خيرة ،نحا عنها طبع اللؤم والانانية ، الذى يتمثل فى القبض والشح .

فيقول الله تعالى فى سورة الحشر : « الذين تبوأُوا الدار والايمان من قبلهم (ويقصد الانصار ، لانهم سبقوا المهاجرين الى سكنى الدار وهى يثرب ، وآمنوا بالرسول عليه السلام قبل هجرته اليهم ، بعد ان كانوا أصحاب وثنية مادية تلتصق بطباعهم الانانية والشح) . يحبون من هاجَرَ اليهم ، ولا يجدون فى صدورهم حاجةً مما أوتوا (اى مما اعطى لهم من الفىْء الذى اخذ من يهود بنى النضير حول المدينة . فنفوس أولئك الانصار لم تطمح الى شىء مما سلم للمهاجرين من ذلك الفىْء ويؤثرون على انفسهم ولو كان بهم خصاصة (أى ومع كون الانصار لم يتأثروا بما أعطى للمهاجرين دونهم .. فانهم كانوا كذلك يؤثرون بما لديهم من مال ، رغم حاجتهم هم اليه فى تفريج شدائدهم) ومن يُوقَ شُحَّ نفسِه فاولئك هم المفلحون (فهؤلاء الانصار بموقفهم من المهاجرين : فى عدم الحقد عليهم عندما اخذوا من الفىْء دونهم ، وفى ايثارهم إياهم باموالهم مع حاجتهم هم اليها .. يضربون المثل فى وقاية النفس من شحها كطبع فيها . ولذلك هم ناجحون لانهم استطاعوا التغلب بالفعل على شهواتهم) .

وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم قد قسم أموال بنى النضير على المهاجرين ولم يعط الانصار الا ثلاثة نفر محتاجين . وقال للانصار : ان شئتم قسمتم للمهاجرين من أموالكم ودياركم وشاركتموهم فى هذه الغنيمة . وان شئتم كانت لكم دياركم وأموالكم ، ولم يقسم لكم شىء من الغنيمة فقالت الانصار : بل نقسم لهم من اموالنا وديارنا ، ونؤثرهم بالغنيمة ولا نشاركهم فيها . فنزلت الآية السابقة .

وجاءت قسمة الرسول عليه السلام على المهاجرين من الفىْء فى قوله تعالى : « ما أفاءَ الله على رسولِهِ من اهْلِ القرى (يقصد الاموال الى اخذها المؤمنون من يهود بنى النضير حول المدينة) : فلله .. وللرسولِ .. ولذى القُرْبَى .. واليتامَى .. (أولاد الشهداء فى الحرب) .. والمساكين .. وابن السبيل .. كى لا يكون دولة بين الاغنياء منكم (اى يعطى مال الفىْء لهذه الفئات وحدها وهى صاحبة حاجة ، حتى لا يقع هذا المال ان لم يوزع هذا التوزيع : بأيدى الاغنياء فيزدادون به غنى ، بينما يزداد اصحاب الحاجة حاجة) وما آتاكم الرسول فخذوه . وما نهاكم عنه فانتهوا ، واتقوا الله ، إن الله شديدُ العقاب . للفقراء المهاجرين الذين اخرجوا من ديارهم واموالهم يبتغون فضلا من الله ورضوانا ، وينصرون الله ورسوله ، أولئك هم الصادقون » ..

فالشح يسبق البخل فى طبع الانسان وملازم للانانية فيه . ولذا أضيف الشح الى الذات والنفس فى الآيتين السابقتين : « ومن يُوقَ شُحَّ نفسِهِ فأولئك هم المفلحون» اما البخل فهو نتيجة من نتائجه .

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com



بقلم : الدكتور محمد البهي

الأساطير

يصف الله سبحانه فى سورة النحل موقف الماديين الوثنيين بمكة ـ وهم المشركون الذين لا يؤمنون بالله وحده .. ولا باليوم الآخر ـ من دعوة التوحيد فى الألوهية ، فى قول القرآن الكريم :

ـ إلهكم إله واحد .

ـ فالذين لا يؤمنون بالآخـــرة (وهم الماديون) قلوبهم منكرة (أى لدعوة التوحيد هذه) وهم مستكبرون (أى متعالون عنها .. ولا يعيرونها اهتماما) .

ـ لا جَرَمَ (أى حقا ، ومن غير شك) : ان الله يعلمُ ما يُسِرّون وما يُعْلِنُون ، انه لا يحبُّ المستَكْبِرين (أى المتعالين المغرورين بقوتهم وجاههم) .

ـ واذا قيل لهم : ماذا انزل ربكم ؟ (أى اذا ما سئل هؤلاء عن القرآن) قالوا : اساطير الاولين ..

وفى آيات أخرى فى السور المكية يردد القرآن دعوى المنكرين له ، بانه اساطير الأولين ، واساطير الأولين هى قصص السابقين ، التى يأخذ ما فيها مكان العقيدة فى نفوس السامعين ، والمرددين لها . وهى قصص يلعب فيها الخيال .. والاختلاق دوراً كبيراً . ويستهدف من اختلاقها : التأثير على الأفراد فى مجتمع ما ، وضمان تبعيتهم لاتجاه معين ، يراد لهم أن يسلكوه وكثيراً ما تختلق هذه الاساطير فى المجتمعات البدائية أو المتخلفة . والذين يختلقونها هم رجال الدين ، لمصلحة الكبراء والزعماء فى هذه المجتمعات .

ومن شأن الاساطير أن لا تقف امام الواقع ، والتحليل للوقائع ، والمكيون ـ او الماديون والوثنيون على عهد الرســـول عليه السلام ـ كانوا لمعارضتهم له صلى الله عليه وسلم فى رسالته : يتهمون كتاب الله الذى انزل اليه : بانه أسطورة من أساطير الأولين ، أى لا يقف امام الواقع والتحليل العلمى لما جاء فيه ، وما زال هذا الاتهام يكرر اليوم .. وسيظل يقال : غدا ، وبعد غد ، طالما : ان الوثنية المادية تنكر الايمان بالله واليوم الآخر .

ويكشف القرآن عن طبـــائع الوثنيين الماديين الذين يرون فى كتاب الله : انه من أساطير الأولين ، فيما يقصه بقوله :

ـ ومنهم من يستمع اليك (أى من المكيين المشركين) .

ـ وجعلنا على قلوبهم اكنة ان يفقهوه ، وفى آذانهم وقرا (وهؤلاء الذين يستمعون اليك اغلقت افهامهم وعقولهم فلم يعد لهم منفذ يتيح لهم أن يفهموا ان سمعوا ، وصمت آذانهم كذلك ، فلم تعد امامهم فرصة ليسمعوا حتى يعقلوا أو يفهموا ما يسمعونه . وهذا كناية عن انهم من أول الأمر ليسوا على استعداد للنظر ، ومراجعة الأمر ، ومحاولة استخلاص منهج سليم فى حياتهم ، غير ما ألفوه عن الآباء ، أو غير ما تمليه عليهم انانية الزعامة وغطرسة الصدارة والوجاهة) .

ـ وان يروا كل آية لايؤمنوا بها ، حتى اذا جاءوك يجادلونك (أى يحاجونك فى دعوتك الجديدة) يقول الذين كفروا (ويعنى القرآن هنا بالذين كفروا هم هؤلاء الذين اغلقت افهامهم وصمت آذانهم) : إنْ هذا إلاّ أساطير الأولين (أى هذا القرآن ، ان هو الا من الاباطيل والترهـات والاكاذيب القديمة) .

ـ وهم ينهون عنه (أى يبعدون الناس عن الايمان به ، بما لهم من زعامة وجاه) وينأون عنه (أى ويبتعدون هم عنه كذلك ، تحت تأثير اتجاههم المادى فى الحياة) وان يهلكون الا انفسهم وما يشعرون (وفى واقع الأمر بموقفهم من القرآن هذا الموقف لا يسيئون الا لانفسهم بالهلاك والفناء ، وان لم يحسوا بانهم فى طريقهم الى ذلك ..

● ويأتى القرآن ـ فيما يأتى به ـ برد على مثل هذا الاتهام ، بقوله :

ـ وانه لتنزيل رب العالمين (أى أن القرآن ليس من الاكاذيب والاباطيل الماضية .. بل هو منزل من عند مالك الكون كله) .

ـ نزل به الروح الأمين (وهو جبريل عليه السلام) .

ـ على قلبك لتكون من المنذِرين . بلسانٍ عربى مبين ..

وكون القرآن من رب العالمين هو تحدٍّ لأن توجد فيه أية ثغرة ينفذ منها باطل ما :

ـ لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه .

ـ تنزيل من حكيم حميد ..



دائرة المعارف القرآنية

بقلم : الدكتور محمد البهي

البعث يوم القيامة

يذكر الله تعالى فى كتابه الكريم : ما كان يواجه به أى رسول أرسل الى قومه : من خاصة هذا القوم ، وزعمائه ، وأصحاب النعمة والترف فيه : فى شأن البعث ، فى قول الله جل جلاله فى سورة المؤمنين :

وقال الملأ من قومه (أى النخبة المختارة من قوم الرسول) الذين كفروا (أى الذين لم يؤمنوا برسالته) وكذبوا بلقاء الآخرة (وانكروا مع ذلك : اللقاء مع الله فى الآخرة .. أى انكروا أن تكون هناك مرحلة ثانية لوجود الانسان غير مرحلة الدنيا التى يحيا . ويموت فيها الانســــــان) واترفناهم فى الحياة الدنيا (أى جعلناهم من المترفين : أصحاب الرزق الوفير والنعمة الواسعة . قالوا :) ما هـــــذا (يعنون الرسول المرسل ، أى رسول) الا بشر مثلكم يأكل مما تأكلون منه ، ويشرب مما تشربون (أى ليس واحـــــدا من الملائكة) .

ولئن اطعتم بشرا مثلكم ، انكم اذا لخاسرون (لأنه لا يتميز عليكم . ويريد بدعوته ان يصير ذا زعامة فيكم ، دون أن يكون له فضل الزعماء من الغنى .. والشرف .. والجاه) .

أيعدكم : انكم اذا متم وكنتم ترابا وعظاما : انكم مخرجون ؟ . هيهات هيهات لما توعدون (وبالاضافة الى انه بشر فهو يعدكم بوقوع ما هو مستحيل . وهو أن تعودوا احياء الى ما كنتم عليه ثانية ، بعد ان تكونوا قد تحللتم فى قبوركم بعد موتكم وصرتم ترابا .. وعظاما . وهذا الوعد منه : كاف فى رفضكم لرسالته: لأنه قلما يتحقق . بل هو مستحيل الوقوع) .

ان هى الا حياتنا الدنيا : نموت ونحيا ، وما نحن بمبعوثين (وليست هناك حياة للانسان الا حياة واحدة . وهى حياة الحياة الدنيا . فالانسان بعد هذه الحياة الشخصية له : يموت . ثم بعد موته لا يعود ثانية من جديد . ولكنه يحيا فى اجياله المتعاقبة . فالموت للأشخاص .. والحياة للأجيال . وليس هناك : بعث لموتى باشخاصهم ، بعد أن يدفنوا فى قبورهم) ..

فالبعث الذى ينكره هؤلاء الوجهاء فى مجتمع كل رسول ـ حسبما يعبر القرآن عن تصورهم له ـ وعن حقيقته كذلك ـ هو اخراج الموتى باشخاصهم من قبورهم أحياء ليشهدوا جزاء الله على ما عمله كل واحد فى مرحلة حياته الأولى ، وهى مـــرحلة الدنيا .

والبعث يقوم اذن على أمرين :

الأمر الأول : ان الانسان يعيش حياة ذا مرحلتين . يعيش المرحلة الأولى من حياته فيما يسمى بالدنيا . وهو فيها : موضع اختبار فى نعم الله التى تحيط به ، من : مال .. واولاد .. وجاه .. وقوة وسلطة .. وصحة وعلم .. الخ . ليعرف : هل هو انسان فى تصرفه فيها : يستمتع بها .. كما يترك لغيره : ان يشاركه بالاستمتاع بقسط منها ؟ أم هو أنانى شحيح ؟ .. هل يعرف لنفسه حدا فى الاستمتاع بها واستخدامها أم ينطلق فيها فيسيء الى نفسه ، والى غيره ويطغى بها ؟ وتقطع هذه المرحلة الدنيوية بالموت .. ثم تستأنف الحياة بعده على وضع آخر .

الأمر الثانى : أن المرحلة الثانية التى يعيشها الانسان هى : مرحلة ما بعد الموت وهى مرحلة الخروج من القبر : ما بعد الجزاء من الله على نوع الموقف الذى اتخذه الانسان وهو فى دنياه من : نعم الله حوله . وتسمى بمرحلة الآخرة . ووضع الحياة فيها : اما وضع نعيم مادى لا قيود على الاستمتاع به .. أو وضع شقاء وعذاب مادى لا حدود لآلامه . وهذه المرحلة الثانوية من حياة الانســــــان مرحلة ابدية ، لا نهاية لها ، فى النعيم ، أو العذاب .

فأمر البعث هذا : ينكره الماديون . وقد رد القرآن فى غير موضع : انكار هؤلاء الماديين للبعث . فيقول فى سورة يس :

أو لم ير الانسان: انا خلقناه من نطفة (من ماء مهين) فاذا هو خصـــيم ، مبين (أى فاذا به انسان قد اشتد ساعده .. وأصبح قادرا على الخصام .. والبيان والتعبير . وهذا مثل لقدرة الله جـــل شانه) .

وضرب لنا مثلا ، ونسي خلقه ، قال : من يحيى العظام وهى رميم ؟ (أى وهذا المخلوق الذى تطور من نطفة مهينة .. الى صاحب شأن فى المنطق والبيان : أصبح يقيس الله على الانسان ، ويربط شبها بينهما فى محدودية القدرة . ومن أجل ذلك يستبعد على قدرة الله : أن تعيد الحياة الى بدن الميت ، بعدما تحول الى عظام بالية . وهو فى هذا القياس والمثل : قد نسي خلقه هو ونسي نشاته) قل : يحييها الذى أنشأها أول مرة وهو بكل خلق عليم . الذى جعل لكم من الشجر الأخضر نارا فاذا أنتم منه توقدون (أى الذى اخرج النقيض من نقيضه) . أوليس الذى خلق الســموات والأرض بقادر على أن يخلق مثلهم ؟ بلى (أى نعم هو قادر) وهو الخـــــلاق العليم .. (فهو ســـبحانه قـــادر على اعادة الموتى باشخاصهم الى الحياة ثانية .

وتلك الاعادة هى : ما تسمى بعثا . والايمان بالبعث ـ فى الدين ـ قرين الايمان بالايمان بالله : (ذلك بأن الله هو الحق ، وانه يحيى الموتى ، وانه على كل شيء قدير . وأن الساعة آتية لا ريب فيها وأن الله يبعث من فى القبور . ومن الناس من يجادل فى الله (فى شئون الله ومحيط قدرته) بغير علم ولا هدى ، ولا كتاب منير ..

ARCHIVE
http://Archive.Sakhrit.com




بقلم: الدكتور محمد البهي

أداء الواجبات

يقول القرآن الكريم: «إن الله يأمركم أن تؤدوا الأمانات الى أهلها».

صدق الله العظيم

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

المقصود بأداء الأمانات هنا: هو أداء الواجبات التى يسأل عن أدائها كل مؤمن أمام الله أولا وبالذات. فالعامل مسئول عن أداء الأمانة لديه. وهى أداء واجبه فى العمل، كما، وكيفا.

ورب العمل مسئول عن أداء الأمانة لديه. وهى أداء واجبه فى الأجر على العمل حسبما اتفق عليه، أو حسبما يجب.

والزوجة مسئولة عن أداء الأمانة لديها، وهى واجبها نحو زوجها، وأسرتها وأولادها.

والزوج مسئول عن أداء الأمانة لديه وهى واجبه فى الانفاق، والرعاية والوقاية لزوجته وأولاده وأسرته.

والموظف مسئول عن أداء الأمانة لديه. وهى واجبه فى توصيل الخدمات لأصحابها، فى غير بطء أو اهمال.

والوالى على اختلاف درجاته مسئول عن أداء الأمانة. وهى واجبه فى وظيفته. وهكذا.

والأمر بأداء الأمانات الى أهلها مبدأ يتميز به الاسلام عن نظم الحكم المعاصرة. إذ هو يرى: البداية والمنطلق لكل مؤمن يؤمن بالله ليس فى تحصيل الحق الذى له عند الغير.

وإنما فى أداء الواجب الذى هو عليه لغيره. وبأداء الواجب يصل الحق الى صاحبه. فالواجب، والحق اعتباران، أو وجهان لشىء واحد. فالأجر على العمل حق للعامل، وفى الوقت نفسه واجب على رب العمل. والعمل حق لصاحب العمل، وفى الوقت ذاته واجب على العامل. فاذا أدى العامل العمل وهو واجبه، وصل هذا العمل الى صاحبه، وهو حقه. واذا دفع صاحب العمل أجر العمل وصل حق العامل عن العمل الذى أداه وهو حقه أيضا.

فالمطالبة فى الاسلام بأداء الأمانات أو الواجبات هو المنطق الطبيعى فى ارتباط الناس بعضهم ببعض، وفى قيام المجتمع، وفى استمرار بقائه.

أما المطالبة بالحقوق أولا فهى عكس هذا المنطق. لأنها تشعر بأن ما يسمى بالحقوق أمور مفروغ منها. مع أنها أمور مرهونة بأداء المقابل لها. ثم فى الوقت نفسه تحمل على التراخى فى أداء هذا المقابل.

ولكن المطالبة بأداء الواجب: توجه كل نفس مسئولة الى مباشرة الأداء أولا لهذا الواجب، على أنه واجب يؤدى، وأنه لا مفر من المسئولية عن أدائه، وأمام الله أولا، قبل أن يكون أمام الضمير، أو أمام الرقيب عليه.

وبأداء الأمانات جميعها وهى الواجبات تصل الحقوق الى أهلها بدون تراخ .. لأنها هى ذاتها حقوق، باعتبار أن للآخرين حقا متعلقا بها.

والمسئوليات عن أداء الواجبات هى مسئوليات مضاعفة:

مسئولية أمام الله،

ومسئولية أمام ضمير المؤدى لواجبه

ومسئولية، أخيرة أمام الرقابة الخارجية المباشرة.

وكل هذه المسئوليات الثلاث تؤرق من لديه أمانة، ولا يؤديها الى أهلها فى وقتها المناسب.

والأخذ بنظام الاسلام فى الحكم يبعد ما درج الناس على تسميته بالتسيب، أو الاهمال، أو التواكل.

ولكن الأخذ بنظام الاسلام ليس مواد تصاغ فى تشريعات تصدر. وإنما هو تربية وصياغة للانسان المؤمن، بحيث تتكفل ذاته بالايمان وبالالتزام، وبأداء الواجب الذى نيط به. فالمؤمن ديمومة من الحركة الموجهة للبر والتقوى، لنفسه وللأمة كلها.

دائرة المعارف القرآنية



النصر



بقلم: الدكتور محمد البهي

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

الله وحده هو الخالق . والقادر . والمدبر لا شريك له . هو وحده الذي ينصر المؤمنين وعندما يريد نصرهم لا يغلبهم ولا يهزمهم احد . وكذلك عندما يتخلى عن نصرهم ليس هناك في الوجود من بعده يستطيع ان ينصرهم ، ويحول دون خذلانهم .

ولكن متى تتعلق ارادته سبحانه بنصر المؤمنين ؟ ومتى تقف ارادته دون نصرهم ؟ ان القرآن الكريم يوجه النداء في موضع آخر للمؤمنين ، يقول الله جل شانه : « يا ايها الذين آمنوا انْ تنصُرُوا اللهَ ينصرْكُمْ ، ويُثَبِّتْ اقدَامَكم » .. فيحثهم على اتباع سبيل الله وهداه ، ويقطع وعدا على نفسه بنصره اياهم ، ان هم نصروه ، وبان يثبت اقدامهم في مواجهة اعدائهم ، ان هم واجهوهم من اجل الايمان بالله .

ومعنى نصر المؤمنين لله : ان يكون سلوكهم العملي تطبيقا لاوامر الله ونواهيه، وان تكون مواقفهم في الحياة هي تعبير عما يطلبه الله من المؤمنين به . وما يطلبه الله من المؤمنين به : ان يكونوا انسانيين ، يحافظون على القيم الانسانية في علاقاتهم ببعضهم البعض ، ويشاركون غيرهم ، بما يدفع عنهم الحاجة ويزيل عنهم الضرر . والانساني لا يلتقي مع الاناني ، ولا مع الانتهازي . انه يسلك الطريق واضحا . وهو طريق المشاركة للآخرين في احزانهم ومسراتهم ، على السواء .

والله سبحانه بما له من قدرة كاملة ليس في حاجة الى المؤمنين في هزيمة اعداء الايمان برسالته : « ولو يشاء الله لانتصر منهم » . وانما عندما يحث المؤمنين على ان يواجهوا اعداء الرسالة الالهية بالتصدي او بالقتال ، يقصد الى اختبار ايمانهم ومدى صدقهم فيه : « ولكن ليبلوا بعضَكم ببعْض » .

وتقف ارادة الله دون نصر المؤمنين ، ان هم اعلنوا الايمان بالله شعارا ، ولم يكونوا صادقين في اخذ انفسهم بمبادئه . فان هم طبقوا بعض مبادئه في حياتهم السلوكية والعملية طبقوه رياء . وان هم قاتلوا غيرهم قاتلوهم من اجل الدنيا .. قاتلوهم من اجل زعامة او ملك ، ولم يقاتلوهم من اجل دين الله .

واذا طالبت الآية هنا ان يتوكل المؤمنون على الله ان هم واجهوا اعداءهم فالتوكل خطوة اخيرة تسبقها خطوة العزم والارادة عندهم : « فاذا عزمْتَ فتوكّلْ على الله » ..

يخاطب الله رسوله عليه السلام وهو على راس المؤمنين يشاور بعضهم بعضاً . وعزم الانسان عملية نفسية ، تاتي بعد دراسة وبحث ، وتحليل للاسباب والنتائج للاتجاه الذي يصمم عليه الانسان .

فاذا كان هناك موقف يجب ان يتخذ من اعداء الله : لا يتخذ هذا الموقف ايجابا اوسلبا الا بعد مراجعة الإعداد ، والعدة ، للمؤمنين ولاعدائهم معا . فان رجح الجانب الايجابي فيجب التصميم والعزم .. ثم التوكل على الله عند التنفيذ . والتوكل على الله عندئذ : هو اعلان الصدق من جانب المؤمنين فيما آمنوا به : وسيلة .. وهدفا ..

وانئذ تظهر روح التضحية والفداء والاستشهاد في سبيل الله . وهي روح توصل حتما الى النصر . اذ بظهور روح التضحية تختفي الانانية . والانانية مصدر الكوارث والهزائم للانسان .





بقلم: الدكتور محمد البهي

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

يقول الله سبحانه : «إنا انزلنا اليك الكتاب بالحق لتحكم بين الناس بما اراك الله» (أي إنما كان تنزيل الكتاب معبراً عن الحق : من اجل الحكم بين الناس بما أوحى اليك فيه : اى من اجل القضاء والفصل على أساسه بين الناس : لا فرق بين قريب وبعيد .. ولا غنى وفقير .. ولا ذى جاه ، وعديم الجاه .. ولا خصم وصديق لك) .

«ولا تكن للخائنين خصيما» (ومن اجل أنه يطلب من الرسول والمؤمنين معه : الفصل على أساس من كتاب الله وحده ، لا ينبغى أن يكون الحاكم فى جانب الخائنين للأمانة فى القول ، والعمل ، وهم الذين ينحرفون فى السلوك : وفى الوقت نفسه خصيماً للعدل والأبرياء لصلة به مع هؤلاء الخائنين) .

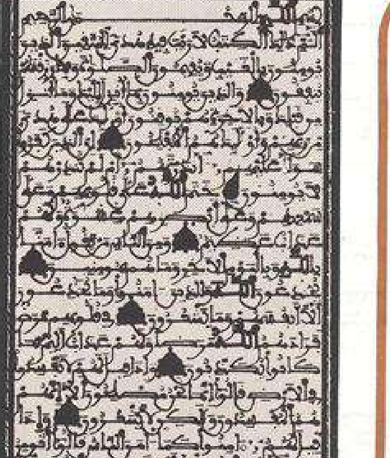
«واستغفر الله ، إن الله كان غفوراً رحيماً» . يجب طلب الغفران من الله . وهو غفور لأخطاء الماضى ، ورحيم بمن تاب وعدل عنها ، وخلص الى الايمان بالله وحده . فالايمان بالله لا يحول النفس البشرية من فسادها المادى فيما مضى : دفعة واحدة .. الى المستوى الانسانى الفاضل . ولذا : رواسب الماضى من الأخطاء والجرائم .. والتقاليد والعادات البغيضة ، وان كانت تتأثر بالايمان فى ضعفها .. ثم زوالها ، إلا ان ذلك يأتى مع الوقت ، ومع الممارسة الجديدة للمبادىء الرفيعة التى تحول اليها الايمان الجديد .

«ولا تجادل عن الذين يختانون أنفسهم» (اى ولا تخاصم الأبرياء دفاعا عن هؤلاء الذين يخونون انفسهم ، وينحرفون فى سلوكهم ، أو وقوفا بجانبهم . وأعاد القرآن التحذير مرة أخرى من الوقوف فى الحكم بجانب هؤلاء أصحاب الصلة ــ اى صلة ــ بالحاكم ليوضح : أن صلتهم بالحاكم لا يجوز أن تشفع فى خيانتهم للأمانة) ، «ان الله لا يحب من كان خوانا أثيما . يستخفون من الناس ، ولا يستخفون من الله وهو معهم ، إذ يبيتون ما لا يرضى من القول وكان الله بما يعملون محيطا» (وطالما هم خائنون للأمانة قولا ، أو عملا : فهم أيضاً أثمون . والله لا يرضى اطلاقا عن الخائن الآثم . وهؤلاء فى خيانتهم وإثمهم يخفون امرهم عن الناس . ولا يعلمون أن الله معهم يعلم ما يبيتونه ضد الآخرين من سوء وكان الأجدر بهم أن يدركوا : ان الله محيط بما يصنعون ، فيتوقفون عن الخيانة

واقتراف الاثم بدلا من أن يتستروا خشية : أن يقف الناس على أمرهم . والوقوف بالحكم لصالح فريق خائن اثم ضد فريق برىء ، لا يكون حكماً مجافياً للعدل فقط .

وإنما يكون ظلماً واضحاً للبرىء .. وجزاء حسناً للمسىء . وهى معادلة لا يقبلها المنطق بحال . وهذه الآيات الثلاث بينما توصى بالعدل ، حسبما جاء فى كتاب الله : تنهى عن المحسوبية .. ورعاية الصلات الخاصة فى الحكم . وبالأخص إذا كان

دائرة المعارف القرآنية



بقلم : الدكتور محمد البهي

الكرامة الإنسانيّة

قال الله تعالى : يا ايها الذين آمنوا : لا يسخر قوم من قوم (اى لا تحتقر مجموعة فى الأمة : مجموعة اخرى فيها .. ولا طائفة : طائفة .. ولا طبقة : طبقة .. لا يحتقر اصحاب الثراء من عداهم ممن لا يملكون المال .. ولا اصحاب العمل ممن يعملون لديهم فى اموالهم .. ولا اصحاب الثقافة : مَن سواهم من الأميين .. ولا اصحاب الجاه : مَن لا جاه له .. ولا اصحاب العصبيات : مَن لا عصبية له .. وهكذا . وينهى الله عن ان تحتقر مجموعةٌ فى الأمة : مجموعةً اخرى فيها ، عقب قوله تعالى : «وان طائفتان من المؤمنين اقتتلوا فاصلحوا بينهما» . إذ يجوز أن يكون سبب القتال هو : احتقار طائفة لأخرى ، وعدم الاعتداد بحياتها وبالتالى إهمال شانها ورعايتها .

ولو ان هذه المجتمعات راعت مبدأ الاحتفاظ بالاعتبار البشرى والكرامة الانسانية لكل المجموعات فيه ما وقع اولا : اعتداء مجموعة على اخرى فى حقوقها .. ولا تقصير مجموعة فى واجباتها نحو الاخرى . ولما اجتاح عدم الاستقرار حياة هذه المجتمعات.

عسى ان يكونوا خيراً منهم .

(وسبب النهى عن سخرية فريق لفريق آخر فى الأمة هو : انه يجوز أن تكون للفريق الذى يسخر منه : ميزات وصفات فى انسانيته .. او فى صلته بالله ، تجعله خيراً من الفريق الساخر . يجوز أن يكون الفريق الذى يخدم الأمة فى سعيها وانتاجها : فى الأموال .. والأولاد بينما الفريق الساخر : فريق معطل الطاقات .

ولا نساء من نساء عسى ان يكن خيراً منهن ، ولا تلمزوا انفسكم (ولا يطعن بعضكم بعضاً بلسانه) .

ولا تنابزوا بالألقاب (اى لا يدعو بعضكم بعضاً : بالقاب تكرهون سماعها او اطلاقها عليكم) . بئس الاسم الفسوق بعد الايمان (إذ ان ذلك يخرجكم عن صراط الايمان المستقيم . ولا شىء اكره للمؤمن : من ان يعد فاسقاً وخارجاً عن ايمانه ، بعد أن كان مؤمنا) ومن لم يتُبْ فاولئك هم الظالمون .

يا أيها الذين آمنوا : اجتنبوا : كثيراً من الظن ، إن بعضَ الظن إثم (وكما تقتضى المحافظة على الاعتبار البشرى لجميع افراد المجتمع : تجنب السخرية منهم .. وعدم الطعن باللسان .. وعدم التنابز بالألقاب البغيضة بينهم .. كذلك تقتضى تجنب الظن فى المواقف التى تتخذ إزاء بعضهم من بعض ، فكثير من صور الظن يؤدى الى إثم ومعصية امام الله والأجدر بالمؤمنين فى معاملة بعضهم : التريث فى الحكم .. وفى اتخاذ الموقف ، حتى يتضح الواقع والحق . والاثم الذى يؤدى اليه الظن هو : إثم سوء الفهم .. او سوء التقدير .. او سوء التصرف) .

ولا تجسسوا (اى يتبع بعضكم عورات بعض بالوقوف عليها والتشهير بها) .

ولا يغتبْ بعضكم بعضا (اى لا يذكر بعضكم فى غيبة الآخر ما فيه من عيب او نقص فان اختلق عيبا او نقصا وذكره فى غيبته كان ذلك بهتانا منه) .

«ايحب احدُكم ان ياكلَ لحمَ اخيه مَيْتا فكرهتموه ؟ (فإن سلوك اى واحد منكم مع الآخر باى سبيل مما ذكر يشبه اكل الواحد منكم للحم اخيه وهو ميت ، وعَلَى كرهٍ منه . وعلى سبيل القطع لا يود واحد منكم ان ياكل لحم اخيه ، وعلى هذا النحو . كذلك ينبغى ان يتجنب الواحد منكم ما يؤذى الآخر إيذاء نفسيا : يتجنب السخرية .. والطعن باللسان .. والتنابز بالألقاب .. والظن الآثم .. والتجسس .. والغيبة . فان ايذاءه نفسياً باى منها يشبه النهش فى لحمه وهو ميت . والذى ينهش لحم ميت متعفن لا يكون انسانا بحال من الأحوال) .

«واتقوا الله ، إن الله توابٌ رحيم (فهو يغفر لكم ايها المؤمنون الآن ما كان لكم من مسلك فى حياتكم السابقة . وهى حياة الجاهلين الذين يستسيغون لانفسهم : تجريح حرمات الآخرين .. وايذاءهم معنويا فى كرامتهم واقدارهم» الحجرات : ١١ ، ١٢ .

وما ذكر هنا من سمات العهد الجاهلى فى دائرة الاعتبار البشرى ، بعيد كل البعد عن التهذيب .. وفى الوقت نفسه من عوامل التفكيك والفرقة فى المجتمع .

ARCHIVE
http://archivebeta.sakhrit.com

دائرة المعارف القرآنية

بقلم : الدكتور محمد البهي

" المعروف "

● تاتي كلمة : « المعروف » في آيات عديدة في القرآن الكريم ، وتاتي وصفا : لقول او فعل ، او سلوك . ومعناها المشترك فيما تاتي به ، هو : غير المنكر في عقول الناس فاذا وصف بها القول على نحو ما تذكر الآية : « ويقول الذين امنوا : لولا نزلت سورة فاذا انزلت سورة محكمة وذكر فيها القتال ، رايت الذين في قلوبهم مرض ينظرون اليك نظر المغشي عليه من الموت ،

فاولى لهم . طاعة ، وقول معروف ، فاذا عزم الأمر ، فلو صدقوا الله لكان خيراً لهم » (محمد : ٢٠ ، ٢١) فان المراد عندئذ بالقول المعروف : القول غير المنكر وغير المستهجن في عقول الناس ، وهو القول الصدق . ولذا كان التعقيب في هذه الآية : « فلو صدقوا الله لكان خيراً لهم » . اذ عندما سال المنافقون : سورة في القرآن يحدد فيها طلب القتال من المؤمنين ، كانوا كاذبين مع انفسهم فيما طلبوه بدليل انهم عندما طلب القتال بالفعل – عن طريق الوحي – ذهلوا ونظروا الى الرسول عليه الصلاة والسلام نظرة الخائف المرتعد من الموت : « فاذا انزلت سورة محكمة وذكر فيها القتال رايت الذين في قلوبهم مرض (وهم المنافقون) ينظرون اليك نظر المغشي عليه من الموت » ولذا : كان نصح القرآن اليهم : ان يلتزموا الطاعة فيما يؤمنون به ان كانوا مؤمنين حقا كما يحرصوا على ان يكون قولهم معروفا ، اي غير منكر في عقول الناس . وهو القول الصدق المعبر عن الحقيقة : « فاولى لهم : طاعة ، وقول معروف » .

واذا جاءت – كلمة المعروف – وصفا لفعل ، كما في قول الله تعالى : « وابتلوا اليتامى حتى اذا بلغوا النكاح ، فان آنستم منهم رشدا ، فادفعوا اليهم اموالهم ولا تاكلوها اسرافا وبدارا ان يكبروا ، ومن كان غنيا فليستعفف ، ومن كان فقيراً فلياكل بالمعروف فاذا دفعتم اليهم اموالهم فاشهدوا عليهم ، وكفى بالله حسيباً » (النساء : ٦) .. فالقصد بالأكل بالمعروف ، هو : الأكل غير المنكر في عقول الناس ، وهو الأكل المعتدل ، البعيد عن الاستغلال اذ تنهى الآية فيما تذكر : « ولا تاكلوها اسرافا وبدارا ، ان يكبروا » (اى لا تاكلوا ايها الاوصياء اموال اليتامى منتهزين فرصة صغرهم في السن عند مباشرتكم لاستثمارها بسبب اسرافكم ووقوعكم تحت تاثير الاتجاه المادى فى الحياة » . اذ نهي الآية عن عدم المساس باموال اليتامى على هذا النحو .. يجعل الاصل في الوصاية على هذه الأموال : صيانتها وابعادها تماما ، عن ان تكون نهبا للضياع في اية صورة . وهذا معناه : ان الوصي لو كان في اشرافه على مال اليتيم ، في حاجة لان ياخذ منه نظير جهده في المباشرة – وليس له من مال خاص ما يعوضه عن هذه الحاجة – فلن اخذه من هذا المال عندئذ : يجب ان يكون اخذا غير منكر في عقول الناس : « ومن كان غنيا فليستعفف ، ومن كان فقيراً فلياكل بالمعروف » . وغير المنكر في عقول الناس في الاخذ من مال اليتيم هو الاخذ بالاعتدال ، بحيث يبتعد فيه عن معنى الاستغلال .

واذا اتت – كلمة المعروف – وصفا لسلوك وموقف ، كما في قوله جل شانه : « واذا حضر القسمة : اولوا القربى ، واليتامى ، والمساكين ، فارزقوهم منه وقولوا لهم : قولا معروفا » (النساء : ٨) ..

فموقف اصحاب التركة هنا تجاه الاقرباء ، واليتامى والمساكين ، اذا ما حضروا قسمتها ، هو : إعطاؤهم شيئا من الارث ، مصحوبا هذا الاعطاء بلين القول لهم اي مصحوبا بتعبير لا تنكره ولا تستهجنه عقول الناس . وهو التعبير اللطيف ، والبعيد عن الايذاء المعنوي . اذ العطاء المادي لمن هو في حاجة اليه ، لايدل على طبيعة خيرة من المعطي ولا على انسانية فيه ء ان المعطي اذى بالقول النابي : صاحب الحاجة ، حين يقدم له عطاءه .

● واذا احال القرآن الحكم على كثير في تصرفات الناس .. فانما يحيله إلى العقل العام في الناس .. اي الى ما تتفق العقول على عدم انكاره . ولا شك ان هناك قدراً مشتركاً بين الناس جميعا يحدد معالم المنكر ، وبالتالي يحدد معالم المعروف ضده .

والمعروف والمنكر اذن امران متقابلان : احدهما مرغوب فيه والآخر مرغوب عنه : « كنتم خير امة اخرجت للناس : تامرون بالمعروف ، وتنهون عن المنكر وتؤمنون بالله » (آل عمران : ١١٠) فجمعت الآية هنا بين المتقابلين ، مما يمكن ان يحدد مفهوم احدهما بالضد من مفهوم الآخر .

ARCHIVE
http://Archive.Sakhrit.com



دائرة المعارف القرآنية

بقلم : الدكتور محمد البهي

" الجنـــــة "

« مثل الجنة التى وعد المتقون : فيها انهار من ماء غير اسن ، وانهار من لبن لم يتغير طعمه ، وانهار من خمر لذة للشاربين ، وانهار من عسل مصفى ، ولهم فيها من كل الثمرات ، ومغفرة من ربهم ، كمن هو خالد فى النار ، وسقوا ماء حميماً فقطع امعاءهم » (محمد : ١٥) ..

إن منطق الدعوة الاسلامية فى القرآن الكريم يقوم على توضيح المفارقة بين المؤمن بالله والكافر به : فى الاعتقاد ، والسلوك ، ومدى التجارب فى علاقات الناس بعضهم ببعض ، وفى نوع الحياة فى الدنيا والمصير فى الآخرة .

فاذا ما يضع مثلا مصير المؤمن والكافر فى الحياة الآخرة موضع الموازنة فى قول الله تعالى فى سورة محمد : « مثل الجنة التى وعد المتقون : فيها انهار من ماء غير اسن ، وانهار من لبن لم يتغير طعمه ، وانهار من خمر لذة للشاربين ، وانهار من عسل مصفى ولهم فيها من كل الثمرات ومغفرة من ربهم .. كمن هو خالد فى النار ، وسقوا ماء حميماً فقطع امعاءهم » (محمد : ١٥) .. اذا ما يضع مصير كل منهما هذا الوضع المقارن ، انما يفصل ما سبق ان ذكره فى هذه السورة من : وعد قطعه الله على نفسه فى قوله : « ان الله يدخل الذين آمنوا وعملوا الصالحات : جنات تجرى من تحتها الانهار ، والذين كفروا يتمتعون وياكلون (اى فى الدنيا) كما تاكل الأنعام والنار مثوى لهم (اى فى الآخرة) » (السورة السابقة : ١٢) ..

فهذه الآية ذكرت : ان الكافر فى الدنيا يسعى للاستمتاع بالحياة المادية ، والأكل مما تشتهيه النفس مما يؤكل فيها .. اكثر مما يستهدفه المؤمن فى سعيه فيها . بل ان الكافر قد يبالغ فى الاستمتاع بمادياتها ، على نحو : لا يعرف فيه لنفسه ضابطاً ، ولا يعرف لغيره حرمة ووجوداً ، كما يصنع الحيوان سواء بسواء :

« والذين كفروا يتمتعون وياكلون كما تاكل الانعام » . اما المؤمن فلأن هدفه فى الدنيا : ان يباشر العدل مع غيره ، والاحسان فى صوره المختلفة الى الآخرين ـ فهو لا يشغل نفسه بتحقيق شهوات النفس ومتعها المادية بقدر ما يحقق المعانى الانسانية الكريمة فى العلاقات البشرية بينه وبين من عداه . ولذا : استمتاعه من ماديات الحياة الدنيا .. بقدر ما يكون لديه الطاقة على تحقيق هدفه الأسمى .

والحياة الدنيا هى مرحلة فى حياة الانسان ـ من جهة نظر الاسلام والمؤمن به ـ تليها مرحلة ثانية وهى مرحلة الآخرة . ومرحلة الدنيا اذا كانت مرحلة اختبار لمن يسعى فيها لتحقيق ـ شهوات النفس ومتعها وحدها ـ وهو ذلك الكافر ـ ولمن يسعى ايضاً ليشارك الآخرين ، وليكون معهم كما يكون مع نفسه ، وليقاسمهم حلوها ومرها على السواء وهو ذلك المؤمن .. فمرحلة الحياة الآخرة هى مرحلة جزاء لكل من النوعين .. هى مرحلة ثواب المؤمن ، وعقاب للكافر .

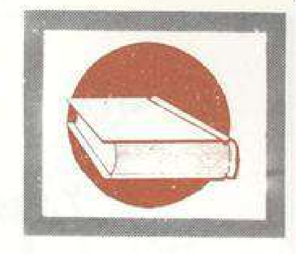
ولقد جاء فى وصف ثواب المؤمن هنا وهو ثواب الاقامة فى الجنة : « .. فيها انهار من ماء غير آسن (اى غير راكد ولا فاسد) وانهار من لبن لم يتغير طعمه (اى لا يعتريه التحول من حال الى حال كما هو وضعه فى الدنيا) وانهار من خمر لذة للشاربين (اى لا تؤدى الى ذهاب العقل ، ولا تسبب صداعاً ولا غثياناً ، بل هى متعة صافية لمن يشربها) وانهار من عسل مصفى (اى ليست به شوائب غريبة عنه) .. » ومعنى هذه الأوصاف فى تحديد الجنة : انها بها من المتع المادية ما يفوق متع الدنيا فى : الكم ، والكيف معاً . فهى تجرى فى انهار ، وليست فى قوارير . وهى لا يعتريها اى فساد ، أو تحول فيما هى عليه ، كما لا تؤدى الى اى ضرر على المدى القريب او البعيد . كما هو شان ما فى الدنيا من هذه المتع .

وبالاضافة الى هذه المتع المادية الكثيرة فى حجمها ، والجيدة فى نوعها هناك متعة اخرى بعدها تفوقها فى كل مالها من خيرات ، وهى متعة معنوية . وتلك هى رضاء الله وغفرانه : « ومغفرة من ربهم » .

وجاء كذلك فى وصف عقاب الكافر وهو عقاب الاقامة الدائمة فى النار : « كمن هو خالد فى النار ، وسقوا ماء حميماً (اى اشربوا ماء شديد الحرارة) فقطع امعاءهم » . فالكافر يعيش فى نار وفى داخل بطنه ما هو يشبه النار ، وهو الماء الشديد الحرارة .

وفى التقابل بين ثواب المؤمن فى آخرته ـ مع ما قد يتعرض له من حرمان فى دنياه من متعها من جانب ـ وبين عقاب الكافر فى اخراه ، مع ما قد يستمتع به من متع الحياة الدنيوية المادية حتى يصل الى مستوى الحيوان فى الافراط من جانب آخر .. فى هذا التقابل بين الوضعين : يؤثر العاقل حتما من غير شك وضع المؤمن ، مهما كلفه ايمانه من مشقة فى حياته الدنيوية فى سبيل ايمانه . والوقوف بنفسه عند حسن السعي ، ويعنى مع ما تعنيه الآية هنا : مثل الجنة التى وعد المتقون ليست كمثل النار التى يخلد فيها الكافرون .

ARCHIVE http://Archivebeta.Sakhrit.com



دائرة المعارف القرآنية

بقلم: الدكتور محمد البهي

الحكمة

يقول الله تعالى فى سورة الاسراء (٢٣ ـ ٣٩) : « وقضى ربك : ان لا تعبدوا الا اياه ،وبالوالدين احسانا ..» الى أن يقول « .. ذلك مما أوحى اليك ربك من الحكمة . ولا تجعل مع الله الها آخر فتلقى فى جهنم ملوما مدحوراً » ..

ويشير بقوله : « ذلك مما أوحى اليه ربك من الحكمة » .. الى الوصايا العديدة التى ذكرت قبل الآية : ابتداء من عبادة الله وحده .. الى عدم الخيلاء فى حركة السير . وهذه الوصايا :

١ ـ عبادة الله وحده .

٢ ـ والاحسان فى معاملة الوالدين .

٣ ـ واعطاء حقوق ذى القربى ، واليتامى ، والمساكين .

٤ ـ والاعتدال فى انفاق المال على النفس .

٥ ـ وتجنب قتل الأولاد ، خشية الفقر .

٦ ـ وعدم الاعتداء على الاعراض بالزنا .

٧ ـ وعدم الاعتداء على النفوس بالقتل

٨ ـ وعدم المساس بأموال اليتامى والضعفاء .

٩ ـ والوفاء بالعهد .

١٠ ـ والعدل فى التعامل ، والوفاء بالحقوق والواجبات .

١١ ـ وعدم التجسس ، وعدم تتبع مالا يغنى الانسان .

١٢ ـ وعدم الخيلاء فى حركة السير .

... وهى وصايا عملية فى سلوك الانسان حتى عبادة الله وحده ، تحدد منهج السلوك التطبيقى فى الحياة ، وتكون قواعد الاخلاق التى يجب ان يسير عليها الانسان .

وعقب ان يذكرها القرآن الكريم فى وصاياه ـ التى هى اوامر ، أو نواهي هنا ـ يشير اليها بانها وحى من « الحكمة » لله : « ذلك .. مما أوحى اليك ربك من الحكمة » .. والحكمة اذن هى المنهاج العملى للسلوك ، فى مقابل الاعتقاد . فاذا قرنت الحكمة بالكتاب ـ أى جاءت مقترنة معه ـ فى آية من آيات القرآن ، كما فى قوله تعالى : « ولولا فضل الله عليكم ورحمته .. لهمت طائفة منهم (أى من المشركين الماديين الملحدين) ان يضلوك ، وما يضلون الا انفسهم ، وما يضرونك من شىء ، وانزل الله عليك : الكتاب .. والحكمة » (النساء : ١١٣) فالمقصود بالحكمة كذلك : المنهج العملى او ما يسمى بالشريعة . اذ الشريعة هى الطريق ، والسبيل .. والمقصود بالكتاب ما تضمن العقيدة . واذن قول الله : « وانزل عليك الكتاب ، والحكمة » معناه : انزل عليك العقيدة .. والشريعة معاً .. أى انزل عليك ديناً متكاملا ، يمثل الاعتقاد الصحيح كما يمثل المنهج العملى السليم . ولذا كان التعقيب فى هذه الآية بقوله : « .. وكان فضل الله عليك عظيماً » . لأن الجمع فى الوحى الى رسول من الرسل : بين العقيدة والشريعة .. يعبر عن ميزة الرسول وفضله بين الرسل .

وكذا قوله تعالى فى سورة البقرة : « يؤتى الحكمة من يشاء ، ومن يؤت الحكمة فقد أوتى خيراً كثيراً » (البقرة : ٢٥١) .. بعد تلك الآيات التى أوصت بالانفاق فى سبيل الله : ابتداء من قوله : « مثل الذين ينفقون اموالهم فى سبيل الله كمثل حبة انبتت سبع سنابل ، فى كل سنبلة مائة حبة ..» الى قوله .. « الشيطان يعدكم الفقر ، ويأمركم بالفحشاء ، والله يعدكم مغفرة منه وفضلا ، والله واسع عليم » (البقرة : ٢٦٩) .. فان الحكمة هنا اقرب الى المنهج العملى فى السلوك . لأن الانفاق سبيل وطريق عمل فى الحياة .

وعلى هذا النحو ما جاء فى قصة داود فى قوله : « ... وقتل داود جالوت ، وآتاه الله الملك ، والحكمة ، وعلمه مما يشاء ... » (البقرة ٢٥١) .. فالحكمة التى اعطيها داود من قبل الله هى : الاخلاق والسلوك المستقيم . فقد عرف عنه انه كان ذا خلق كريم ، وذا شجاعة فى سبيل الايمان بالله . ولذا انتصر فى القتال ضد الأشوريين لتخليص أسرى بنى اسرائيل لديهم . وقد كان أسرهم الأشوريون فى حرب معهم : أذلوهم ، واقتحموا عليهم ديارهم ، وهدموا ما كان لهم من حضارة مادية ومعابد وبينها هيكل سليمان ، والى هذه الهزيمة يشير القرآن الكريم فى سورة الاسراء :

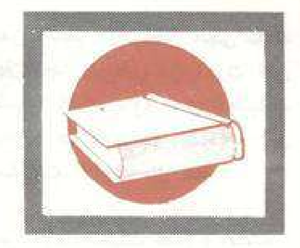
« وقضينا الى بنى اسرائيل فى الكتاب لتفسدن فى الأرض مرتين ولتعلن علوا كبيراً (أى لتطغون طغياناً ظاهراً) . فاذا جاء وعد أولاهما (أى وعد عقاب الأولى) بعثنا عليكم عباداً لنا أولى بأس شديد (وربما يقصد القرآن الأشوريين هنا) فجاسوا خلال الديار (أى اقتحموها وأهلكوا ما وجدوا فيها) وكان وعداً مفعولا » (الاسراء : ٤ ، ٥) (أى ناجزاً ونافذاً) .

وعلى هذا المعنى يحمل مفهوم : « الحكمة » ـ وهو معنى الشريعة أو المنهج العملى والاخلاقى للسلوك ـ اذا جاءت كلمة الحكمة فى آية وحدها ، أو مقترنة مع كلمة : « الكتاب » . على ان يقصد بالكتاب عندئذ : ما يحدد مضمون العقيدة . كما فى قوله تعالى : « هو الذى بعث فى الأميين رسولا منهم : يتلو عليهم آياته (أى آيات الله التى يوحي بها اليه مما يشمل الشريعة ، والعقيدة معاً) ويعلمهم الكتاب (أى العقيدة) والحكمة (أى الشريعة وآداب السلوك) وان كانوا من قبل لفى ضلال مبين » (الجمعة : ٢) .

وفيما يقوله جبريل ـ مبشراً مريم بعيسى المسيح عليه السلام ـ رداً على سؤالها : « قالت ربى : انى يكون لى ولد ولم يمسسنى بشر ؟ قال : كذلك ، الله يخلق ما يشاء اذا قضى أمراً فانما يقول له : كن فيكون . ويعلمه الكتاب (أى العقيدة) والحكمة (أى الشريعة) و التوراة والانجيل (أى ما يجمع الأمرين من عقيدة وشريعة) ورسولا الى بنى اسرائيل ... » (آل عمران : ٤٧ ، ٤٨ ، ٤٩) .. وفيما يقوله جبريل هنا فى هذا الحوار : من كتاب ، وحكمة .. لا يخرج معناهما عما ذكر من قبل .

وذكر التوراة والانجيل بعد ذلك هو ذكر لما عرف عند بنى اسرائيل مما يعم العقيدة ، والشريعة .. وتأكيداً بأن رسالة عيسى هى فى نطاق ما جاء به موسى من قبل . وبذلك تكون حجته فى بنى اسرائيل حجة واضحة

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com



دائرة المعارف القرآنية

بقلم : الدكتور محمد البهي

العمل الصالح

● في القرآن الكريم آيات عديدة تتحدث عن : « العمل الصالح » وعن طبيعته أو حقيقته . وفيما يتجلى من هذه الآيات ، يقصد بالعمل الصالح ، تطبيق مبادىء الايمان بالله وبرسالة الرسل ، وهى رسالة الاسلام دين الله : منذ ابراهيم الى محمد ابن عبد الله ، عليهما الصلاة والسلام : « ان الذين امنوا ، والذين هادوا ، والنصارى والصابئين : من آمن بالله واليوم الآخر ، وعمل صالحا ، فلهم اجرهم عند ربهم . ولا خوف عليهم ولا هم يحزنون» (البقرة : ٦٢) .

فهذه الآية وضعت جميع الطوائف على عهد الرسول عليه الصلاة والسلام ، امام موقف واحد ، اذا ما طلبت اى منها : الاطمئنان على حياتها ، واللحاق بالمقربين الذين لم تفت عليهم فرصة النجاة . وهذه الطوائف هى : طائفة المؤمنين بالقرآن ، وطائفة اليهود ، وطائفة النصارى ، وطائفة الصابئة ، وهى تلك التى كانت تعبد النجوم والكواكب : فيما بين النهرين وما وراءهما . والموقف الواحد الذى وضعت امامه هذه الطوائف لتحقيق الهدف المرجو هو : الايمان بالله واليوم الآخر ، والعمل الصالح . وهو ذلك العمل الذى يكون وفقاً لهذا الايمان وقائماً عليه .

● وشرط أساسى اذن فى مفهوم العمل الصالح ـ كما جاء فى القرآن الكريم هنا ـ ان يكون مؤسساً على الايمان بالله وحده ، وباليوم الآخر ، فاذا كان هناك من يؤدى عمل المؤمنين فى استقامة ، دون ان يكون مؤمناً بالله وباليوم الآخر ، فلا يكون عمله عندئذ عملا صالحاً . ولانطواء العمل الصالح على ضرورة الايمان بالله واليوم الآخر ، قد يكتفى القرآن فى بعض آياته عن ذكر لفظ : الايمان واليوم الآخر ، بذكر العمل الصالح وحده . كما جاء فى قول الله تعالى : « قل : انما انا بشر مثلكم ، يوحى الى : انما آلهكم آله واحد ، فمن كان يرجو لقاء ربه : فليعمل عملا صالحاً ، ولا يشرك بعبادة ربه احداً » (الكهف : ١١٠) .. فذكرت الآية صراحة : العمل الصالح ، كامر يتطلب حتما : الايمان بالله ، وباليوم الآخر مسبقا ، ولم تذكر : الايمان صراحة ومباشرة ، وان كان يمكن ان يؤخذ الايمان بالله من قوله « ولا يشرك بعبادة ربه احداً » .. كما يمكن ان يؤخذ الايمان باليوم الآخر ، من قوله : (فمن كان يرجو لقاء ربه) ، ولكن بطريق غير مباشر . والاكتفاء بذكر العمل الصالح عن الايمان اعتماداً على : ان العمل الصالح يتطلب ضرورة تأسيسه على الايمان المزدوج : بالله وحده وباليوم الآخر .

واذا حكى القرآن نداء الله الى الرسل ، بقوله : « يا ايها الرسل : كلوا من الطيبات واعملوا صالحاً ، انى بما تعملون عليم» (المؤمنون : ٥١) فلم يذكر فى هذا النداء : طلب الايمان ، مع العمل الصالح : فلذلك ليس لأن من مهمة الرسل : الايمان بالله واليوم الآخر اولا ، وبالضرورة . ولكن مع ذلك ـ بالضرورة ايضاً لأن العمل الصالح لا يكون صالحاً ومقبولا عند الله إلا اذا ارتبط بالايمان ، وصار فى حركته طبقاً لمبادىء هذا الايمان .

وقوله تعالى : « من عمل صالحاً فلنفسه ومن اساء فعليها » (فصلت : ٤٦) .. لا يقصد هنا بالعمل الصالح : العمل المستقيم فى ذاته ، كما لا يقصد بالعمل السيىء : العمل السيىء فى ذاته . وانما الايمان ضرورة فى كيان العمل الصالح ، وان كان له طابع الاستقامة . وعدم الايمان ضرورة كذلك فى مسمى العمل السيىء .

● ان ضرورة الايمان بالله واليوم الآخر فى مفهوم العمل الصالح ، لأن من لم يؤمن بالله وباليوم الآخر ، مع العمل الصالح .. يستحيل ان يكون ما يأتى به من عمل ، على طول الزمن : لمصلحة الآخرين ، كما هو لمصلحته . اذ طبيعة عدم الايمان بالله كمركز للقيم العليا ـ وهى قيم يتقرب اليها المؤمنون وتحقق المصالح العامة للناس جميعاً ـ قد تدفع الى الايمان بالذات ، وبالسعى فى سبيلها : اما وحدها ، أو مع قسط ضئيل جداً فى سبيل الآخرين معها لفترة ما . وهنا يتجه عمل المؤمن بذاته وبأنانيته .. الى ان يكون عملا ذاتياً أو انانياً . ومثل هذا العمل لا يكون صالحاً . بل يكون عملا سيئاً .

.. يستحيل على غير المؤمن بالله ان يكون غير مادى . ومن يكون مادياً يقوم عمله على المقابلة والمبادلة المادية وحدها ، وينكر كل علاقة بينه وبين الآخرين لا تقوم على هذه المبادلة ، حتى علاقته بالأسرة ، وبالوالدين فيها . ومن ينكر الروابط الانسانية فى العلاقات ، وينشد الجانب المادى وحده فيها ، ينكر : كل معنى انسانى وكل قيمة من القيم العليا . وادعاء : ان مثل هذا المنكر للروابط الانسانية : انه يسلك فى عمله ، طريق المصلحة العامة له وللآخرين معه ، انما هو كادعاء اجتماع النقيضين ، كالماء والنار فى مكان واحد وفى وقت واحد .

الايمان بالله هو تحول فى واقع الأمر من الانانية الى الجماعية الانسانية .. وبقدر عمق الايمان بالله واليوم الآخر فى نفس المؤمن ، بقدر تمشى عمله مع الخط المستقيم لصالح الجماعة والأمة .

والعمل الصالح اذن ، هو : تعبير مجسد عن هذا الايمان العميق فى نفس المؤمن . ولذا : اصحاب العمل الصالح : لا خوف عليهم ، ولا هم يحزنون . ليس فى آخرتهم فحسب ، وانما مع ذلك فى دنياهم . اذ هم يعيشون لغيرهم قبل ان يعيشوا لذواتهم ..

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com



بقلم : الدكتور محمد البهي

أسماء الله الحسنى

● ان اسماء الله الحسنى هي صفات كمال فيه . اذا ذكرت صفة منها عبرت عن كمال مطلق في ذاته : « هو الله الذي لا إله إلا هو عالم الغيب والشهادة ، هو الرحمن الرحيم .

هو الله الذي لا إله إلا هو : الملك ، القدوس ، السلام ، المؤمن ، المهيمن ، العزيز ، الجبار ، المتكبر ، سبحان الله عما يشركون .

هو الله : الخالق ، البارىء ، المصور ، له الأسماء الحسنى ، يسبح له ما في السموات والأرض وهو العزيز الحكيم » .. (الحشر : ٢٢ – ٢٤) .

فهذه الأسماء او الصفات جميعها – وغيرها مما ورد بها القران هي قيم عليا رفيعة لذات المولى جل جلاله . وكما تدل على سمو الذات العلية ورفعتها وكمالها غير المحدود ، تجذب الداعي للمولى كي يتقرب منها في عبادته ودعواته :

« ولله الاسماء الحسنى ، فادعوه بها (اي تقربوا اليه بها : بذكرها وترديدها ، وبمحاكاتها في السلوك والتصرفات) وذروا الذين يلحدون في اسمائه (اي واتركوا اولئكم وشانهم الذين يظلمون انفسهم بانتهاك حرمة هذه الاسماء والحط من قدرها ، وهم الوثنيون الماديون الذين يشركون مع الله جلت قدرته : الهة اخرى لا يملكون لانفسهم نفعا ولا ضرا) سيجزون ما كانوا يعملون » (الاعراف : ١٨٠) .

وباية صفة او باي اسم من اسمائه الحسنى يناجي بها العابد ربه ، فانه يتقرب بها وبمحاكاة اية صفة من صفاته في سلوكه وتصرفاته يتقرب بها اليه سبحانه : « قل : ادعوا الله او ادعوا الرحمن ، أيّاً ما تدعوا ، فله الأسماء الحسنى ، ولا تجهر بصلاتك ولا تخافت بها وابتغ بين ذلك سبيلا ، وقل : الحمد لله الذي لم يتخذ ولدا ، ولم يكن له شريك في الملك ، ولم يكن له ولي من الذل ، وكبّره تكبيرا » . (الاسراء : ١١٠ ، ١١١) .

● والعبادة الحقيقية التي يذكرفيها المؤمن من صفات ربه واسمائه الحسنى ليست ترديد هذه الصفات والاسماء على اللسان في صوت بين الجهر والسر ؟ وانما تامل هذه الصفات والاسماء ومحاولة التاثر بها ، ثم محاكاتها في مجال التطبيق والسلوك الانساني ، بعد مجال التامل والتذكر . وما احوج الانسان الى ان يتذكر كمالات الله التي تعبر عنها اسماؤه الحسنى ، ويحاول ان يتقرب بها اليه في تصرفاته ، وبالاخص مع ذاته الانسانية اولا :

١ – ان الانسان في حاجة الى أن يعلم ، ويعلم على وجه اخص : الدلائل في الوجود على وحدة الله المطلقة في كماله المطلق فيخشاه ويعبده . والعلم صفة او اسم من اسماء الله الحسنى .

٢ – والانسان في حاجة ليعلم : انه عقل وشهوة ، ومنطق وهوى ، وهو بحاجة ليسود عقله على شهوته ، ومنطقه على هواه : فيرتفع عن المهانة والذلة لشهوته وهواه ان اراد لنفسه ان يكون انسانا . والمهيمن ، والعزيز : من صفات الله واسمائه الحسنى .

٣ – والانسان في حاجة ليعلم : ان في اطمئنانه مع نفسه ، وفي علاقته بالاخرين معه .. سعادته ومتعته الحقيقية ، فيسعى الى السلام بينه وبين نفسه فلا يترك هواه في صراع مع نفسه او مع غيره ، بجذوحه وحدّته . والسلام من صفات الله واسمائه الحسنى .

٤ – والانسان في حاجة ليعلم : ان القناعة عن مقدرة هي طريق الكرامة البشرية . والغنى من صفات الله ، واسمائه الحسنى.

٥ – والانسان في حاجة ليعلم : ان تميز انسان عن انسان هو في عمله ، وفي اتقانه لهذا العمل ، وامانته في ادائه ، وبذلك يجيء عمله نموذجا ومثالا .

والخلق ، والابداع : والتصوير : من صفات الله ، واسمائه الحسنى .

٦ – والانسان في حاجة ليعلم : ان ممالاة الشر : فيها القضاء على انسانية الانسان وحضارته ، وان الطريق لصيانة الانسانية هو الوقوف في وجه الشر وتحدي مصادره .

والجبار من صفات الله واسمائه الحسنى .

٧ – والانسان في حاجة ليعلم : ان الانسان الذي لا يؤمن ، هو ضعيف يسلم نفسه لكل دافع ، ونحو اي اتجاه . وسبيل نجاته من الضعف هو الايمان .

والمؤمن صفة من صفات الله واسمائه الحسنى .

وهكذا : اسماء الله الحسنى فيها سر قوة الانسان : في انسانيته ، وعلى هواه وشهوته ، وفي طمانينته ، وعدم اذلاله ومهانته ، وفي جده في سعيه ، وفي اتقانه لعمله .. فيها سر الانسان المؤمن ، والعادل المتخلق بخلق الله جل شانه .

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com



دائرة المعارف القرآنية

بقلم : الدكتور محمد البهي

التقوى

● التقوى في كثير من آيات القرآن الكريم تشير الى معنى : الترك والتجنب ، لما هو باطل في الاعتقاد ، وسيء في المعاملات والتصرفات وسيء في السلوك .

ولذا : الآيات التي تحكي دعوة الرسل السابقين لاقوامهم تطلب اليهم : التقوى أولا ، بمعنى الترك لما كانوا عليه ، كتمهيد لقبول الرسالة في جانبها الايجابي وهي العمل الصالح على أساس من الايمان بالله وحده . فتقول هذه الآيات :

« اذ قال لهم اخوهم نوح : الا تتقون ؟ » (الشعراء : ١٠٦) .

« اذ قال لهم اخوهم هود : الا تتقون ؟ » (الشعراء : ١٢٤) .

« اذ قال لهم اخوهم صالح : الا تتقون ؟» (الشعراء : ١٤٢) .

« اذ قال لهم اخوهم لوط : الا تتقون ؟ » (الشعراء : ١٦١) ..

« اذ قال لهم شعيب : الا تتقون ؟ (الشعراء : ١٧٧) ..

وفي حديث القرآن عن مهمة داود عليه السلام يقول : « ياداود : إنا جعلناك خليفة في الأرض ، فاحكم بين الناس بالحق ، ولاتتبع الهوى فيضلك عن سبيل الله ، ان الذين يضلون عن سبيل الله لهم عذاب شديد بما نسوا ، يوم الحساب » (.. الى ان يقول : « ام نجعل الذين آمنوا وعملوا الصالحات .. كالمفسدين في الأرض ، ام نجعل المتقين .. كالفجار ؟ » (ص : ٢٦ ، ٢٨) فتقضي الآية الأولى من هاتين الآيتين بأن جزاء الذين ينحرفون عن سبيل الله — وهو سبيل الايمان بالحق — هو العذاب الشديد يوم الحساب ، اي في الآخرة ..

وتجيء الآية الثانية هنا لتوضيح : ان هذا الجزاء هو العدل بعينه ، ولكن في صورة منطقية ومقنعة . هي صورة : التفرقة في الجزاء بين المفسد في الأرض ، والمؤمن الذي يعمل عملا صالحا .. بين المتقي ،

وهو الذي يترك الجرائم الاجتماعية كلها من : زنا ، وسرقة ، وقتل ، كما يترك الباطل في الاعتقاد من الوثنية والخرافة ، وذلك الآخر الذي يقابله وهو : الفاجر الذي ينحرف عن الطريق المستقيم في السلوك والهدايــة معــا . فوضـع المفسد في هذه الآية : في مواجهة المؤمن الذي يعمل صالحا .. وهو وضع المتقي : في مواجهة الفاجر المنحرف ومن هذا الوضع ، وهو وضع التقابل ، يفهم : ان التقوى هي ترك الانحراف والباطل . سواء في الاعتقاد .. أو السلوك .

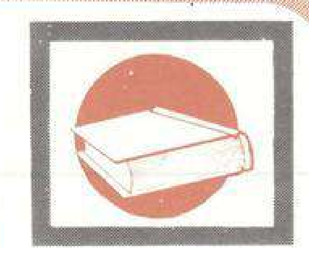
● ومن اجل ذلك : ترد في آيات اخرى ، كلمة : التقوى ، بهذا المعنى والمفهوم — وهو مفهوم الترك والتجنب للباطل — في اقتران مع عمل ايجابي آخر طبقا للايمان بالله وحده كشرط لرضاء الله سبحانه . نقرا مثلا قوله تعالى : « وان تؤمنوا ، وتتقوا فلكم اجر عظيم » (آل عمران : ١٧٩) . وقوله : « وان تحسنوا ، وتتقوا ، فان الله كان بما تعملون خبيراً » (النساء ، ١٣٨) . وقوله : « وان تصلحوا ، وتتقوا فان الله كان غفوراً رحيماً » (النساء : ١٣٩) .

فالايمان في آية ، والاحسان في آية اخرى ، والاصلاح في آية ثالثة هنا ، في مقابل : التقوى فيها جميعا .. يشير الى العمل الايجابي ، بينما : التقوى تشير فقط الى : الترك والتجنب . وقلما يكتفي القرآن في حسن قبول الانسان عند الله بالتقوى وحدها . بل يضيف اليها : العمل الصالح ، وهو العمل الايجابي المثمر ، ممثلا في الايمان أو التصديق ، أو ممثلا في الاحسان أو ممثلا في الاصلاح . كما نرى هنا .

والمتقي إذن هو الذي يترك الموبقات ، والفحشاء والمنكر ، والاعتقاد الباطل ولكي يكون مقبولا عند الله لابد ان يعمل — بجانب ذلك الاتقاء — عملا صالحا قائما على الايمان بالله وحده ومتبعــا فيــه هدايتــه .

ولكن لأن ترك الفحشاء والمنكر والاعتقاد الباطل يحتاج من يتركها الى عزم قوي وارادة نافذة ، وصبر وتحمل .. كان دور المتجنب لها دوراً أساسياً عند الله .

ولذا : عظم شان المتقي ، وشان التقوى في التقدير ، وفي العرف معاً ..



بقلم : الدكتور محمد البهي

التَّرَف

القرآن يعلن : ان الترف هو الامارة التي تتصدر امارات الاتجاه المادي في المجتمع .. وان المترفين فيه هم الذين يواجهون الرسل - واصحاب الدعوة الى إنسانية المجتمع - بالمعارضة والصد . لان الدعوة الى مجتمع إنساني لو نجحت او عندما تنجح ، تصيب هؤلاء المترفين اولا في ترفهم ومتعهم ، ثم ثانيا في وضعهم الاجتماعي وزعامتهم : « وما ارسلنا في قرية (اي في مجتمع من نذير (اي رسول ينذر بعقاب المعارضين) إلا قال مترفوها : انا بما ارسلتم به كافرون . وقالوا : نحن اكثر اموالا واولاداً ، وما نحن بمعذبين » سبا : ٣٤ _ ٣٥

وهؤلاء المترفون كذلك هم قبل غيرهم يشيعون الاعتقاد بانكار الأخرة ، وبالايمان بالحياة الدنيا وحدها . وهذا الاعتقاد المزدوج من : انكار الأخرة والايمان بالدنيا وحده : ظاهرة رئيسية في الاتجاه المادي في المجتمع : « وقال الملا من قومه الذين كفروا ، وكذبوا بلقاء الأخرة واترفناهم في الحياة الدنيا ، ما هذا إلا بشر مثلكم ياكل مما تاكلون ويشرب مما تشربون .

ولئن اطعمتم بشراً مثلكم إنكم إذن لخاسرون أيعدكم : انكم اذا متم وكنتم ترابا وعظاما : انكم مخرجون ؟ هيهات هيهات لما توعدون .

ان هي الا حياتنا الدنيا : نموت ، ونحيا ، وما نحن بمبعوثين ، إن هو إلا رجل افترى على الله كذبا ، وما نحن له بمؤمنين » المؤمنون : ٣٣ _ ٣٨

وموقف القرآن من الترف والمترفين هو اولا : التنديد بهم .. والنظر اليهم على انهم عوامل الهدم في المجتمع المادي . يقول الله تعالى :

« وإذا اردنا ان نهلك قرية امرنا مترفيها ففسقوا فيها ، فحق عليها القول فدمرناها تدميرا » الاسراء : ١٦

.. ثم ثانيا : انكار التبذير كوسيلة للترف والتبذير انفاق المال في غير حقه وفي غير مصلحة .. او هو انفاقه في باطل ، ولو كان مدا ، اي جزءاً قليلا من المال . فامارة التبذير ليست كثرة ما ينفق .. وانما مصرف ماينفق فالعبث هو العبث : في قليله وكثيره وما ينفق في عبث او في باطل من لهو او عداوة لدين الله : هو تبذير مهما كان كمه . ويقول القرآن في انكار وضع المبذرين في اية مدنية في سورة مكية ، وهي سورة الاسراء وهي السورة الخمسون في الوحي المكي :

« ان المبذرين كانوا اخوان الشياطين (اي إخوانا لهم في الشر) وكان الشيطان لربه كفورا » : الاسراء : ٢٢ .. فيصفهم بانهم الشياطين في الشر .. وفي عدم الاهتداء الى الصراط المستقيم . وهو صراط الايمان بالله .

وبالتنديد بالترف والمترفين اولا .. وبانكار وضع المبذرين ثانيا : يوقظ القران الوعي في نفوس المؤمنين - بعد ان تحولوا من جاهليتهم الى الايمان بالله - ضد الترف ، وضد التبذير في سبيله . وهذا مايفعله النهي عنه لو جاء بصيغته . وبذلك تستوي في هذه الخطوة في التنديد والانكار في منهج القرآن : مرحلة التمهيد لما يطلب من وضع نهائي للترف ، وللتبذير في سبيله . والوضع النهائي الذي طلب بعد ذلك هو الحجر على المترفين العابثين باسم السفهاء .

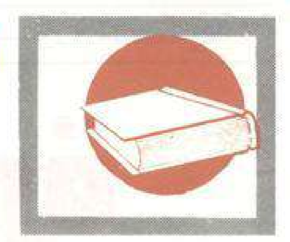
وقد جاءت هذه المرحلة الاخيرة في سورة مدنية ، وهي سورة النساء ، او السورة السادسة في نزول الوحي المدني : تطلب الحجر على السفهاء . وهم اولئكم المبذرون في اموالهم ، والعابثون بها . وهي اذ تطلب الحجر عليهم تطلب ايقاف العبث في اموالهم . واموالهم وان كانت ملكا ومنسوبة اليهم إلا انه يتعلق بها حق المجتمع .. وهو حق اصحاب الحاجة فيها . فالملكية الخاصة التي يقرها الاسلام للمال .. يقر بجانبها منفعة عامة له لاصحاب الحاجة يقول تعالى :

« ولا تؤتوا السفهاء اموالكم التي جعل الله لكم قياما (الخطاب هنا - كما يقال - للاولياء : اذا قصد بالسفهاء : انهم من اليتامى الذين يجب ان يختبروا قبل تسلمهم اموالهم : ان كانوا قد بلغوا الرشد في التصرف ام لا .. وهذا راي لبعض المفسرين . لان هذه الآية جاءت في اثناء الحديث عن اليتامى وما يتم في اموالهم . ولكن الواضح : ان الخطاب فيها لاولى الامر .. وان السفهاء هم المبذرون بالاموال بوجه عام .. وان على اولي الامر ان يحجروا على هؤلاء السفهاء فيحولوا بينهم وبين أن يباشروا التصرف في اموالهم . لان هذه الاموال في حقيقتها هي اموال المؤمنين جميعا ، لانه يتعلق بها حق المجتمع ، كما سبق) .

وارزقوهم فيها ، واكسوهم ، وقولوا لهم قولا معروفا » اي واجراء ثان يجب ان يتخذ بجانب الحجر على اموال السفهاء ، وهو اجراء تثميرها لمصلحة المحجور عليهم . اي اجراء عدم تجميدها ، وعدم الانفاق من راس المال بعد ذلك من منع من تسلمها من اصحابها اذ بتحريك هذه الاموال في مجال التثمير : يحافظ من جهة على راس المال ، ومن جهة اخرى يمكن ان ينفق من ارباحه على المحجور عليهم . اما القول المعروف لهم فهو الابتعاد في الحديث معهم عما يجرح شعورهم واحساسهم ، بسبب سوء تصرفهم وسفههم . واذا قيل لهم شيء بشأن اموالهم يقال لهم : ان ما اتخذ من تدبير إزاء اموالهم هو لمصلحتهم ، ومصلحة اموالهم ، ومصلحة للمجتمع كله .. هو للمحافظة على الوظيفة الاجتماعية للمال ، والمنفعة العامة التي يسندها الاسلام اليه بجانب المصلحة الخاصة لهم . (النساء : ٥)

وبالأمر بالحجر على اموال السفهاء هنا - وفي مقدمتهم المترفون والعابثون بالترف - تكون الامارة المميزة للمجتمع الانساني .. عن المجتمع الجاهلي قبله .. وتتحقق المرحلة التي تتم فيها انسانية المجتمع .

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com



دائرة المعارف القرآنية

الإنفاق

بقلم : الدكتور محمد البهي

جاءت السورة الاولى في الوحي المدني وهي سورة البقرة ، في اية منها تدعو الى الاعطاء غير المحدود لاصحاب الحاجة ، الا بحاجة المالك للمال نفسه . فتقول :

« ويسالونك : ماذا ينفقون ؟ (أي اي مقدار ينفقونه في سبيل الله ، لصاحب الحاجة او الخير العام ؟) .

« قل العفو » (وما يجيب به عن هذا السؤال : هو أن ينفقوا الزائد عن حاجاتهم هم) البقرة : ٢١٩

ومعنى ذلك : ان المؤمنين – كقاعدة كلية – مطالبون بالانفاق على اصحاب الحاجة من اموالهم .. الى ان لا يبقى في هذه الاموال إلا ما يسد حـاجتهم هم . وما جاء من تحديد الانفاق في احاديث الزكاة ، كشرح لآية الصدقات في آخر سورة مدنية ، وهي سورة التوبة لا يمس هذه القاعدة الكلية . فالزكاة هي ادنى مستويات الانفاق ، كظاهرة للمجتمع الانساني – وهو ما يريد الاسلام أن يحققه – تقابل ظاهرة الشح في المجتمع المادي الوثني ، أو المجتمع الجاهلي ، اذ بدون هذه المستويات لا يكون المجتمع قد تحول بعد . والمجتمع المؤمن مطالب بعد ذلك : بالسعة في الانفاق لخير اصحاب الحاجة فيه ، ان كانت هناك ضرورة للتوسع فيه .. أو هو مطالب بان يكون على استعداد نفسي على الاقل : لانفاق ما زاد عن انصبة الزكاة ، مما يدخل في نطاق : « الزائد او العفو » عن حاجة المالك الخاصة .

واذا كانت آية البقرة هذه : تدعو بصفة عامة الى إنفاق الزائد عن الحاجة الخاصة في سبيل الله ، او في سبيل الخير العام ، والمصلحة العامة في المجتمع ، اي في مصلحة المحرومين وأصحاب الحاجة فيه .. فان منهج القرآن لم يدع المؤمنين يشعرون بعبء إذا هم قاموا بانفاق الزائد كله على هؤلاء الضعفاء في المجتمع ، فذكرهم بان ملكيتهم للمال ليست ملكية اصلية . وانما يدهم عليه : يد خلافة وإنابة . فهم مستخلفون فقط على المال اما ملكيته فهي لله وحده . وعلى من يستخلف على أمر ما : ان يسير وفق الطريق الذي يرسمه صاحب الشان الاول . وصاحب الشان الاول هذا في المال ، هو الله تعالى .. وطريقه لانفاقه : ان تغطي بمنفعته حاجة المسلمين جميعا ، حاجة من يدهم على المال .. وحاجة الآخرين الذين لا يد لهم على شيء منه .

وجاء هذا التذكير في السورة الثانية في الوحي المدني وهي سورة الحديد ، في قول الله تعالى :

« آمنوا بالله ورسوله (اي كونوا مؤمنين حقا بالله وبرسوله وامارة ايمانكم بالله ان تتبعوا ما انزل في كتابه ، وهو القرآن . وامارة ايمانكم برسوله ، عليه السلام ، ان تقتدوا به في تطبيق ما اوحي اليه . وهذا الطلب مقدمة ضرورية لاتباع ما يقال لهم الآن في شأن الانفاق) .

« وانفقوا مما جعلكم مستخلفين فيه (ومما يجب أن تطيعوا فيه : أن تنفقوا مما استخلفكم الله عليه من مال . ومن السهل عليكم طاعته في ذلك . لأن وضعكم مع المال لا يعدو أن يكون وضع الوكيل او المفوض في التصرف فيه . ولذا : لا ينبغي لكم أن تتراخوا في الاستجابة لما يطلب منكم الآن ، في أمره) .

« فالذين آمنوا منكم وانفقوا لهم اجر كبير » (ومع كون الانفاق من المال على اصحاب الحاجة ، طاعة لأمر الله فيه ، وهو مالكه الحقيقي .. فان المؤمن منكم اذا كان مؤمنا حقا ، واتخذ من الانفاق العام امارة على ايمانه : فله جزاؤه العظيم عند الله ، في دنياه وفي آخرته . ويلاحظ هنا في هذه الآية – وفي غيرها من آيات اخرى – ان القرآن في منهجه يضع ايمان المؤمنين في مواضع خاصة ، في بعض الأحيان ، بعد اعلانهم قبوله وفي اثناء تحول مجتمعهم موضع التساؤل ، فيقول هنا : « فالذين آمنوا منكم » وكانه يشير الى ان قضية الايمان في تحول المجتمع ليست شعارا يتلى ، وليس انفعال عاطفة ، ولا حماسة مؤقتة ، انما هي سلوك معين ، في ظل توجيه معين ، يختلف تماما عما كان للمجتمع من توجيه سابق . والايمان الحقيقي هنا يجب ان يقترن بالانفاق في سبيل الله ، فيكون الانفاق عنوانا له . وليس التعبير بالقول وحده . وهذه الملاحظة تعطي : ان المجتمع في تحوله من مجتمع مشرك بالله وجاهلي مادي الى مجتمع يؤمن بالله وحده ، وانساني في علاقة افراده بعضهم ببعض .. يحتاج الى خطوات في حركة انتقاله .. ويحتاج الى مثابرة على تثبيته على الايمان ، وعلى دفعه من خطوة الى التي تليها ، حتى يكتمل تحوله) الحديد : ٧

ولا ينسى القرآن مرة بعد الاخرى ان يعيد تذكير المؤمنين بالمال : في ملكيته وفي تحديد مصرفه ، حتى لا يترك لهم فرصة للتراخي في التطبيق ، بعد أن آمنوا ورغبوا في التحول عن مجتمعهم السابق . فيقول الله تعالى في نفس السورة :

« وما لكم الا تنفقوا في سبيل الله ، ولله ميراث السماوات والأرض (اي اي حاجز نفسي او مادي بقى لديكم الآن ، ويحول دون ان تنفقوا مما تضعون ايديكم عليه من أموال : في سبيل الله بعد أن علمتم – وبعد أن تعلموا – أن الله وحده هو الذي يرث السموات ، والأرض وما عليها فهو المالك لكل ما فيها ، والمال الذي بايديكم هو ماله .. والأمر بانفاقه في سبيل اللـه هو أمـره) .

ثلاث خطوات الآن في منهج القرآن لتغيير موقف المؤمنين – اي الذين اعلنوا ايمانهم – من المحرومين والضعفاء في المجتمع :

طلب بانفاق العفو في سبيلهم : « قل : العفو » .

وتبرير لما طلب : بملكية المال لله . وباستخلاف المالكين عليه فحسب : «وانفقوا مما جعلكم مستخلفين فيه» .. «ومالكم الا تنفقوا في سبيل الله . ولله ميراث السموات والأرض» .

وترغيب في العدول عن الشح الى الانفاق ، يجعل المنفق مقرضا لله ، بما ينفقه في سبيل هؤلاء المحرومين : « من ذا الذي يقرض الله قرضا حسنا ، فيضاعفه له ، وله أجر كريم » .

ARCHIVE
http://archive.sakhrit.com



دائرة المعارف القرآنية

بقلم : الدكتور محمد البهي

جـــــزاء اللـــــه

طالما كانت للانسان مشيئة في الايمان والكفر ، وفي مباشرة العمل الصالح أو السيء .. وطالما كان مسئولا مسئولية شخصية وفردية عن نوع اعتقاده ونوع عمله ، ولا يحمل مسئولية غيره مهما كانت صلة القربى به .. فان جزاءه عن ايمانه وكفره ، وعن عمله المستقيم وعمله المنحرف يكون جزاء وفاقا لنوع اعتقاده ، وعمله : ليس بامانيكم (أيها المشركون الماديون) ولا اماني أهل الكتاب (أي لا يتوقف المصير ولا ترتبط الاعمال في الجزاء عليها : بالرغبات والاماني ، وانما يكون الجزاء على نوع العمل فقط) : من يعمل سوءاً يُجْزَ به ولا يجد له من دون الله ولياً ولا نصيرا ، ومن يعمل من الصالحات : من ذكر او انثى وهو مؤمن .. فاولئك يدخلون الجنة ، ولا يظلمون نقيرا (اي اقل القليل) (النساء : ١٢٣ ١٢٤) .. والله عادل فيما يجازي به . (ان الله لا يظلم الناس شيئا ، ولكن الناس انفسهم يظلمون) – (يونس : ٤٤) .

وعدل الله في الجزاء امر يقتضيه وضع الخالق بين عباده ومخلوقاته . وهو وضع الغني بذاته عن المخلوقات والناس جميعاً : (وربك الغني ذو الرحمة : ان يشا يذهبكم ويستخلف من بعدكم ما يشاء ، كما انشاكم من ذرية قوم اخرين) (الانعام : ١٣٣) .. فلا تعود مصلحة شخصية عليه – جل جلاله – من ايمان بعض الناس ، او كفر البعض الآخر منهم . وانما اثر الايمان على من امن ، واثر الكفر يعود على من كفر منهم : (ومن جاهد فانما يجاهد لنفسه ، ان الله لغني عن العالمين) (العنكبوت : ٦) .. (ولقد اتينا لقمان الحكمة : ان اشكر لله (اي بالايمان به) ومن يشكر (اي يؤمن معبراً بايمانه عن شكره) فانما يشكر لنفسه (اي تعود منفعة ايمانه على نفسه) ومن كفر فان الله غني حميد) (لقمان : ١٢) .. ووضع الغني بذاته بين المخلوقين له : يتعين ان يكون وضع العادل .. المتجرد عن الغرض والمصلحة الخاصة . ثم يوجب كذلك : ان يكون الجزاء مرتبطا بنوع العمل وحده ، الذي باشره ويباشره الانسان في حياته الدنيوية .

وهنا تؤكد ايات عديدة هذا الربط ، كما نقراه فى قول الله تعالى : (فمن يعمل مثقال ذرة خيراً .. يره ، ومن يعمل مثقال ذرة شراً .. يره) (الزلزلة : ٧ ، ٨) .. وفي قوله : (والذين كسبوا السيئات : جزاء سيئة بمثلها ، وترهقهم ذلة ، مالهم من الله من عاصم) (يونس : ٢٧) .. وفي قوله : (ومن يعمل من الصالحات ، وهو مؤمن فلا يخاف ظلما ولا هضمـــا) (طه : ١١٢) ..

وما يتردد من القول : بسلب المشيئة من الانسان في علاقته بالله ، وبنسبة هدايته وضلاله الى المولى جل شأنه وحده – دون تدخل من الانسان – وبالتالي : بعدم فهم الجزاء من الله له المترتب على ضلاله .. هو قول لا يستند الى فهم سليم لكتاب الله ، نقرا قوله تعالى مثلا : (افمن زين له سوء عمله فراه حسنا (اي ليس كمن لم يضل ويخدع واهتدى بهدي الله في كتابه) : (فان الله يضل من يشاء ويهدي من يشاء ، فلا تذهب نفسك عليهم حسرات ، ان الله عليم بما يصنعون) (فاطر : ٨) .. فهذه الآية تنسب الى الانسان صنعاً وعملا في خداع نفسه مرتين ، مرة عندما تقول : (افمن زين له سوء عمله فراه حسنا) .. فتسند اليه انه راى السيء في واقع امره ، حسنا في نظره فجاراه ، وبذلك ضل ولم يهتد . ومرة اخرى عندما تعقب بقولها : (ان الله عليم بما يصنعون) .. اي بما يصنع اولئك الذين لم يروا الصواب على وجهه الصحيح . اذن : الانسان له دخل وعمل في اضلال نفسه او في هدايتها . ومع ذلك فان لله ايضا دخلا في الهداية والضلال ولكن على معنى : صرف الانسان و عدم صرفه عن متابعة خط السير لما في رسالة الله . فللانسان دور في تحديد نوع العمل الذي يقوم به ، وفي نوع الاعتقاد الذي يعتقده ، ولله اثر كذلك : في التوجيه نحو هذا الاتجاه .. او نحو ذاك .

وفيما يوصي به القرآن رسول الله صلى الله عليه وسلم في قوله : (فيما رحمة من الله لنت لهم ، ولو كنت فظاً غليظ القلب لانفضوا من حولك ، فاعف عنهم ، واستغفر لهم وشاورهم في الامر ، فاذا عزمت فتوكل على الله ، ان الله يحب المتوكلين) .. (ال عمران : ١٥٩) .

يوصيه اولا بمباشرة : العفو عن المخطئين في غزوة (احد) من المؤمنين بتطلعهم الى الغنائم – وليس الى المبادىء – فيها ، واستغفار الله لهم خطاهم ، وبمشاورتهم من جديد فى شئون الدفاع عن الامة : (فاعف عنهم ، واستغفر لهم وشاورهم في الامر) .. ثم يوصيه ثانياً – بعد انتهاء المشاورة وترجيح الراي نحو اتجاه معين وموقف معين : ازاء الاعداء – بالتوكل على الله .. اي بطلب العون والمساندة منه . فهنا :

عمل من الانسان ، وعون من الله .. هنا استنفاد مجهود الانسان وطاقته في العمل ، ثم طلب المؤازرة بعد ذلك لمن يملكها وحده ، وهو الله سبحانه وتعالى .. وكذلك فيما يامر به المؤمنين بقوله : قاتلوهم (اي قاتلوا الاعـداء المنتهكين لحرماتكم) يعذبهم الله بايديكم ،

ويخزهم (اي بسبب هزيمتكم لهم) وينصركم عليهم (اي بما لكم من ايمان قوي) ويشف صدور قوم مؤمنين . ويذهب غيظ قلوبهم (اي بما تحرزون من نصر واضح) (التوبة : ١٤ ، ١٥) .. يامرهم بالقتال ، عن ايمان قوي فيه : بحيث يكون النصر على الاعداء امراً واضحا ، فيطلب منهم : عملا .. وايمانا .. يستتبعهما : نصر من الله .

إن عمل الانسان ، وسعيه وجده في العمل والسعي .. مقدمة ضرورية لتتويج عمله بالنجاح برعاية الله وفضله . وبدون عمل للانسان وبدون استقامة فيه : لا تكون رعاية .. ولا تكون معاونة .. ولا يكون نصر من الله . ان السماء لا تمطر ذهباً ولا فضة . انما هو الانسان وسعيه .. والله ورعايته .

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com



بقلم: الدكتور محمد البهي

الذكر

* يقول الله تعالى في سورة: «ص. والقرآن ذي الذكر» (أي والقرآن صاحب الشرف والنباهة)، «ويقسم الله جل شأنه بحرف: «الصاد» من حروف الهجاء العربي ــ وكذلك اذ يقسم بأي حرف أو حروف أخرى منه في أي موضع آخر ــ انما ليوضح: أن مدخول القسم وهو هنا: «والقرآن ذي الذكر»: في ظهوره وعدم انكاره ــ الا من متعنت ــ يشبه حرف (الصاد) في وضوح كونه من أحرف الهجاء العربي. اذ ليس هناك عربي ينكر: أن حرف الصاد من هجاء الكلمات العربية بل ومما تتميز به هذه اللغة عن غيرها من اللغات، الا اذا كان هذا العربي متعنتاً في انكاره.

فوصف القرآن الكريم: بالذكر ــ أي بالشرف والنباهة ــ كأنه أمر مفروغ منه لا يحتاج الى مزيد من البيان. وأخذ القرآن هذا الوصف، لأنه الكتاب السماوي الوحيد، والأخير ــ بعد التوراة ــ الذي يجمع بين منهج الحياة كشريعة، ومنهج السلوك العلمي كهداية: «وما قدروا الله حق قدره اذ قالوا: ما أنزل الله على بشر من شيء، قل من أنزل الكتاب الذي جاء به موسى نوراً وهدى للناس؟ تجعلونه قراطيس: تبدونها، وتخفون كثيراً (اي تجعلونه أوراقاً مفرقة واجزاء ينفصل بعضها عن بعض، فيمكن اظهار البعض واخفاء البعض الآخر منها: للاحتراف والتكسب، بدل الإبقاء عليه كوحدة واحدة: اما ان تظهر فتعرف كلها أو تختفي فتنكر جميعها) وعلمتم مالم تعلموا أنتم ولا آباؤكم (والخطاب موجه لبني اسرائيل) قل: الله، ثم ذرهم في خوضهم يلعبون. وهذا كتاب (اي القرآن) أنزلناه مبارك مصدق الذي بين يديه (وهو كتاب موسى. وكتاب عيسى) ولتنذر أم القرى ومن حولها (يقصد مكة وضواحيها) والذين يؤمنون بالآخرة يؤمنون به (وهم غير المشركين الوثنيين الماديين) وهم على صلاتهم يحافظون» (الانعام: ٩١، ٩٢)..

ففي خطاب الله لبني اسرائيل بالرد عليهم في شأن انكارهم نزول القرآن على الرسول عليه السلام لأنه بشر، يذكر القرآن أن التوراة ــ وهم يعتقدون أنها كتاب الله ــ انزلت على موسى وهو بشر، كما يبين أن القرآن وهو على غرار التوراة في التفصيل وفي الجمع بين العقيدة والشريعة، انزل على محمد وهو بشر كذلك، صلوات الله وسلامه عليه.

* ولوضوح وصف القرآن بالذكر، جاء: «الذكر» ــ بهذا التعريف وبدون اضافة الى كلمة أخرى ــ تعبيراً عن القرآن نفسه في مواضع عديدة من كتاب الله، بحيث لا يراد منه الا مايراد من القرآن ذاته. يقول الله تعالى:

١ ــ «وأنزلنا اليك الذكر (أي القرآن ككتاب لله) لتبين للناس ما نزل اليهم ولعلهم يتفكرون» (النحل: ٤٤).. ويقول:

٢ ــ «انا نحن نزلنا الذكر (أي القرآن) وانا له لحافظون» (الحجرات: ٩).. ويقول:

٣ ــ «وقالوا (أي مشركو مكة من الوثنيين الماديين): يا أيها الذي نزل عليه الذكر (أي القرآن): انك لمجنون» (الحجر: ٦).. واتهموه عليه الصلاة والسلام بالجنون لأن ما جاء به القرآن يقضي على أساطيرهم، وعلى استغلالهم واحترافهم بالدين، وعلى الأرستقراطية الدينية، والطبقية في الدين: بين عامة الأتباع، والكهان، والقوى الخفية التي يدعون لها: استراق السمع من غيب السماء.

وعلى هذا النحو قول لله تعالى: وان يكاد الذين كفروا (وهم المشركون الماديون انفسهم) ليزلقونك بأبصارهم (اي ليمحونك من الوجود غيظاً) لما سمعوا الذكر (أي القرآن) ويقولون: انه لمجنون (القلم: ٥١).. ويقول:

٤ ــ انما تنذر من اتبع الذكر (أي القرآن) ويخشى الرحمن بالغيب (أي انما تثمر بشارتك وانذارك بالقرآن وبهدايته: من يؤمن بالقرآن ويخشى ربه، وهو لا يدركه بالبصر) (يس: ١١).. ويقول:

٥ ــ ولقد كتبنا في الزبور (وهو كتاب داود الذي ارسل به) من بعد الذكر (وهو القرآن ــ كتاب محمد عليه الصلاة والسلام ــ): أن الأرض يرثها عبادي الصالحون (الأنبياء: ١٠٥) أي أن تمكين عباد الله الصالحين من الأرض، وخلافتهم عليها.. أمر مقضي به من عند الله، منذ أن أرسل برسالته الى الناس عليها.. حتى عهد الرسول عليه الصلاة والسلام. فهو مكتوب في القرآن فيما يقول الله تعالى: «وعد الله الذين آمنوا منكم وعملوا الصالحات: ليستخلفنهم في الأرض كما استخلف الذين من قبلهم وليمكن لهم دينهم الذي ارتضى لهم، وليبدلنهم من بعد خوفهم أمنا، يعبدونني، لا يشركون بي شيئا، ومن كفر بعد ذلك: فأولئك هم الفاسقون» (النور: ٥٥) وكان مكتوبا كذلك في رسالة داود.

* وهكذا: ترد كلمة: «الذكر» بهذا التعريف في القرآن الكريم: لكتاب الله، الذي هو هذا القرآن، في أغلب ما ترد فيه.

فاذا أطلق: الذكر ــ بعد ذلك ــ على تلاوة «الأوراد» أو على «الحضرة» التي فيها هذه الأوراد ويباشرها فريق الزهاد.. فلأن الأصل في الأوراد أن تكون من القرآن، وآياته.

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com



دائرة المعارف القرآنية

بقلم: الدكتور محمد البهي

التوبة إلى الله

• قد نرى كثيراً من الناس — في حاضرنا اليوم — يعلنون التوبة الى الله عن ذنب أو خطأ ارتكبوه في سلوكهم مع أنفسهم أو مع الآخرين. ويعتقدون أنهم باعلانهم التوبة الى الله قد زالت آثار ذنبهم أو أخطائهم وأصبحوا مقبولين عند الله. ثم يستأنفون نفس السلوك الذي يتضمن الذنب أو الخطأ، أو يرتكبون ما هو أشد قبحاً من سابقه، ويعلنون بعده: التوبة الى الله، ويعتقدون كذلك: أنهم أصبحوا مطهرين من ذنوب الماضي وأخطائه. وهكذا .. تمر حياتهم بين أخطاء ترتكب، وتوبة الى الله تعلن. وكأن إعلان التوبة ممحاة بها الذنوب والأخطاء في أفعال الإنسان وتصرفاته، التي تنطوي على سوء أو قبح للذات أو للآخرين.

والتوبة على هذا النحو أشبه بلعبة يلعب بها المذنب ولا يدري: إن الذي يقبل التوبة من عباده هو الله الذي له ملك السموات والأرض، وهو القاهر فوق عباده، وهو الجبار المتعال. وهكذا تحولت التوبة الى الله الى «شعار» يردده، دون أن تكون له حقيقة واقعة في حياة التائب، والذي حولها هو الانسان المسلم عندما خف ايمانه وأصبح هذا الإيمان «شهادة» يتلوها بقوله: «لا إله إلا الله محمد رسول الله» من غير أن يستجيب عملياً لدعوة الحق في توجيه الانسان، وتصرفاته، وهدايته الى الصراط المستقيم.

• واذا عدنا الى القرآن لتحديد معنى «التوبة» الى الله وجدنا: أن «التوبة» مقترنة بأمرين:

أولا: بتصفية الماضي كله وعدم العودة اليه نهائيا.

ثانيا: بانتهاج المنهج السليم في العمل والسلوك، وفي المعاملة والعلاقات بين الناس طبقاً لمنهج الاسلام في العقيدة والشريعة معا.

فعن تصفية الماضي يقول الله تعالى للذين يتعاملون بالربا: «وإن تبتم فلكم رؤوس أموالكم، لا تَظْلِمونَ ولا تُظْلَمونْ. وان كان ذو عسرة فَنَظِرَةٌ الى ميسرة، وان تصدقوا خير لكم إن كنتم تعلمون» (البقرة: ٢٧٩) .. فيطلب القرآن لكي تتم التوبة من المرابين: أن يتنازلوا في ديونهم عن جميع الزيادات الطارئة على رؤوس أموالهم التي أقرضوها، بحيث لا يكون هناك ظلم لأحد: لا لهم .. ولا للمتعاملين معهم. ثم للتدليل على النوايا الطيبة والاخلاص في التوبة .. يجب أن يؤجل المدين الى حين يساره، إن لم يتنازلوا له كلية عن الدين، والتنازل عن الدين كله هو في مصلحة أولئكم الذين كانوا يتعاملون بالربا، قبل أن يكون في مصلحة المتعاملين معهم وهم المدينون: «وان تصدقوا (أي برأس المال والزيادة عليه) خير لكم إن كنتم تعلمون»، لأن هؤلاء المدينين لا تنطوي نفوسهم بسبب قسوة المعاملة وهم أصحاب حاجة ماسة، إلا على الحقد لمن قسى عليهم. وساعة أن يتنازل لهم عن الدين يتبدل حقدهم الى صفاء، فمحبة، والحقد شر ما يبتلى به الإنسان.

وعن الأمر الثاني وهو انتهاج المنهج السليم في العمل والسلوك يقول سبحانه جلت قدرته: «ثم ان ربك للذين عملوا السوء بجهالة، ثم تابوا من بعد ذلك وأصلحوا، ان ربك من بعدها لغفور رحيم» (النحل: ١١٩) .. فيربط القرآن غفران الله وقبوله للتوبة .. بتوبة التائب عن عمله السيئ الذي صدر عنه من غير قصد، والتزم حين توبته في عزم وإرادة قوية: بتغيير عمله، في نوعه وفي أسلوبه، بحيث يكون عمله الجديد تعويضاً عن الماضي وإصلاحاً لأخطائه.

أما إذا أعلن التوبة واستمر على منهجه فيما قبل التوبة، فتوبته عندئذ هي شعار فقط، يرفع دون أن يثمر: «وليست التوبة للذين يعملون السيئات» (النساء: ١٨). أي الذين يستمرون في عمل السيئات، سيئة بعد أخرى.

وهكذا: نجد حقيقة: «التوبة الى الله» مركبة من أمرين: من الندم على ذنب فات ووقع من غير قصد، ومن مباشرة العمل المثمر الصالح الذي توحى به هداية الله تواً في غير إبطاء وفي عزم أكيد: «واذا جاءك الذين يؤمنون بآياتنا فقل: سلام عليكم، كتب ربكم على نفسه الرحمة: انه من عمل منكم سوءاً بجهالة، ثم تاب من بعده وأصلح، فانه غفور رحيم» .. (الأنعام: ٥٤) .. والذين يعمدون الى السوء ويقصدونه، ثم يعمدون الى إعلان التوبة فلن تقبل توبتهم: لأن قصدهم الى السوء لا يحقق ندمهم على اقترافه.

وان أمارات الضعف للمسلمين هي في أن تتحول مفاهيم دينهم الى شعارات، تظل بعيدة عن التطبيق في حياتهم. وان أمارات قوتهم وقربهم الى الله هي في أن تكون حياتهم العملية تعبيراً عن إسلامهم، بدلا من أقوالهم التي لا مدلول لها ..

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com



دائرة المعارف القرآنية

بقلم : الدكتور محمد البهي

الشكر إلى الله

إذا رجعنا إلى القرآن الكريم لتحديد معنى : «الشكر» وجدنا أن شكر الله هو في اتباع هدايته ، وفي الالتزام بالإيمان به وبرسالته : فمعناه تطبيقي وعملي ، أكثر منه نطقا وترديدا للفظه .

فصاحب المال والثروة إذ يشكر الله يشكره باتباع هدايته في المال . وهداية الله في المال أن يكون للآخرين منه نصيب وراء الزكاة ، حسبما يستطيعه صاحبه ، دون أن يلحق عطاءه بِمَنٍّ أو أذى ، ودون أن يشعر صاحب الحاجة بأن مايأخذه هو من مال المعطي ، بل من فضل الله ورزقه : «والله فضل بعضكم على بعض في الرزق ، فما الذين فضلوا برادي رزقهم على ماملكت أيمانهم ، فهم فيه سواء ، أفبنعمة الله يجحدون ؟» .

وصاحب العلم أو التوجيه إذ يشكر الله يشكره باتباع هدايته في العلم والتوجيه وهداية الله في العلم والتوجيه أن لايكون العلم للرياء ، أو يستخدم وسيلة للشر أو لإقلاق الآخرين وتهديدهم . وأن لايكون التوجيه للاغراء والخداع والإفساد . وإنما يتجه العالم بعلمه — في أي موضوع — إلى خير الإنسانية ونفعها ، ويتجه الموجه بالتوجيه إلى الحق ، والعدل والمحافظة على حرمات النفس ، والمال ، والعرض .

وصاحب السلطة أو الوظيفة العامة إذ يشكر الله يشكره باتباع هدايته في السلطة والوظيفة وهداية الله فيهما : في تجنب الطغيان ، والابتزاز ، والاستغلال ، والانحراف عن طريق أية منهما .. في جعل السلطة والوظيفة للخدمة العامة ، ولتيسير الأمر عن من يلتجيء إلى صاحب السلطة ، أو الوظيفة .

والمتولي للقضاء إذ يشكر الله يشكره باتباع هدايته في ولاية القضاء . وهداية الله فيه : في التزام العدل المطلق ، حسب الطاقة البشرية ، وتوخي البعد عن إثارة اللجاجة في الخصومة .

والعامل وصاحب العمل إذ يشكران الله يشكرانه باتباع هدايته في العمل . وهداية الله في العمل هي : في الأمانة في أدائه ، وإتقانه من جانب من يباشره ، وفي الوفاء بالأجر ورعاية الرأفة والرحمة من جانب صاحب العمل وتجنب الاستعلاء ، وتأكيد روح الأخوة في الإنسانية وفي الإيمان بين الطرفين .

وهكذا .. رب الأسرة بالنسبة لأسرته ، وأم الأولاد بالنسبة لأولادها ، إذ يشكر هو الله أو تشكر هي الله فشكر أي منهما في اتباع هداية الله في الأسرة وفي الأولاد . وهداية الله في ذلك هي : في الرعاية والإحسان ، وحسن التهذيب .

وإذن شكر الله على نعمة ما ، هو في اتباع هداية الله في هذه النعمة عملا وتطبيقا . نقرأ قول الله تعالى : «إنا خلقنا الإنسان من نطفة أمشاج نبتليه ، فجعلناه سميعا بصيرا . إنا هديناه السبيل ، إما شاكرا وإما كفورا» (الإنسان : ٢ ، ٣) .. فالقرآن الكريم يتحدث أولا : عن تركيب الإنسان في خلقه وإعداده . فإذا كان قد خلق من نطفة مختلطة بين الذكر والأنثى ، فإنه قد زود بمدخل العقل والتفكير ، وهو الحواس التي تميز : السمع والبصر من بينها . ثم يتحدث ثانيا : عن أن الله لم يدعه لعقله وتفكيره في شأن الهداية إذ قد تتغلب على عقل الإنسان وتفكيره نزعات الغرائز — بحكم تبكيرها في مباشرة أهدافها للمحافظة على بقاء الإنسان ككائن حيواني — مما يخل بالتوازن عندئذ : بين العقل .. والغرائز في الإنسان ، ويميل به بالتالي إلى الانحراف ، فالعبث عن طريق الهوى والشهوة . ولذا .. كانت الحاجة إلى هداية الله حاجة ماسة : «إنا هديناه السبيل» عن طريق الرسالة الآلهية . وموقف الإنسان — بعد تزويده بالعقل وبرسالة الله — يجب أن يكون موقف الشاكر على نعمة الله الممثلة في : اعداده بالعقل .. وبتزويده بالهداية الآلهية . وذلك باستخدام العقل فيما خلق له وهو : التفكير السليم ، لصالح الانسان وصالح البشرية ، وباتباع الهداية الآلهية في مجالاتها المختلفة .

ولكن الإنسان قد لايحس بهذه النعمة المزدوجة فيقف منها موقف الكافر بها . وعندئذ لايلوم إلا نفسه : «ومن شكر فإنما يشكر لنفسه ، ومن كفر فان ربي غني كريم» (النمل : ٤٠) .

فشكر الإنسان لله إذن هو : في اتباع هداية الله . وهداية الله ستوجه تفكيره ، وسلوكه وعمله ، بحيث لايستهدف بأي منها : سوى الحق والخير والمنفعة العامة ، كما يستهدف تجنب الإيذاء والإضرار بالغير .

ولكن هذا الشكر الذي هو اتباع ، أي تطبيق عملي لهداية الله ، قد تحول في حاضر المسلمين إلى لفظ عدم المدلول العملي ، وإلى «شعار» ليس له أثر في حياة الإنسان .. وما أكده الله في قوله : «واذ تأذن ربكم : لئن شكرتم لأزيدنكم» .. لم يعد ذا صلة بما تحول إليه شكر الله في حاضر المسلمين من شعار . فمهما عبر صاحب شعار الشكر ، ومهما كرره صباح مساء ، فلن تتغير حياته ، ولن يرى فيها مزيدا من فضل الله ونعمته .. ذلك المزيد الذي وعد به هنا ، وهو مزيد الهداية والتوفيق ، والاطمئنان النفسي ، وستر الله .

ARCHIVE http://Archivebeta.Sakhrit.com



دائرة المعارف القرآنية

بقلم: الدكتور محمد البهي

التوكل على الله

إن الانسان أمام (المفاهيم) فى اللغة يختلف وضعه من القوة الى الضعف ، ومن الضعف الى القوة . فالأصل فى المفهوم أن يعطي مدلولا محددا ، يمليه الجو الذى قيل فيه . ولكن قد يسقط الانسان هذا الجو المحيط بالمفهوم ، ويقف به عند اللفظ وحده ، وعندئذ يكون قد انتقل المفهوم عن المدلول الأصيل لمدلول آخر ، وهو أقرب أن يكون لفظيا ولغويا ، أي أقرب الى أن يكون شكلاً لايحمل معنى اطلاقا .

والمفاهيم الدينية لايختلف شأنها عن بقية المفاهيم الأخرى ، طالما الانسان هو الذى يغير موقفه منها ، وطالما هو الذى ينقلها مما تحمله أصلا من طابع عملى .. الى أشكال لاتحمل أي واقع إطلاقا .

والقرآن بمبادئه من أجل ذلك قد يوجد فى حياة المؤمنين به ، إن قوي ارتباطهم به ؛ وقد يرتفع من حياتهم العملية ويصبح ألفاظا ومفاهيم ينطقون بها ويتحدثون عنها ، ولكن لايجدون لها أثرا فى التطبيق والواقع الذى تسير عليه حياتهم ، وذلك عندما يخفف الايمان به أو يتحول الى شعار فقط .

وكثير من المفاهيم الدينية اليوم فى مجتمعات المسلمين تختلف عما يريده القرآن الكريم لها ، وتختلف أيضا عما طبق من قبل فى حياة الرسول عليه الصلاة والسلام وحياة المؤمنين حقا برسالة الله .

فالتوكل على الله ــ كما يفهم من جو القرآن الكريم ــ هو قوة نفسية لها فاعليتها وتدفع فى غير تردد على مايصمم على تنفيذه . نقرأ قول الله تعالى فى قصة نوح عليه السلام فى مواجهته لقومه : « واتل عليهم نبأ نوح إذ قال لقومه ياقوم : إن كان كبر عليكم مقامى وتذكيرى بآيات الله فعلى الله توكلت (أى شق عليكم نفسيا وجودى فيما بينكم وترديدى لرسالة الله فى مواجهتكم فأنا رغم ذلك مستمر فيها ومتوكل على الله) فاجمعوا أمركم وشركاءكم ثم لايكن أمركم عليكم غمة ، ثم اقضوا الى ، ولاتُنْظِرون . (أي ولكم أن تتفقوا على الخطة فيما بينكم التى تواجهوننى بها ، وأن تتفقوا أيضا على أن تستعينوا بشركائهم ضدي ، على أن يكون الأمر فى ذلك واضحا لكم ، ثم اقضوا بما تشاءون علي ــ ولو بالموت ــ وواجهونى بما تقضون به ، ولا ترجئوا لحظة واحدة تنفيذ ما حكمتم به) (يونس : ٧١) .. فنوح فى موقفه من قومه الذين ينكرون عليه رسالته يعلم تمام العلم مدى تحديه لهم على هذا النحو ، ولكن ايمانه برسالة الله ، وعزمه على الفناء فى سبيلها . كان أقوى من تحدى قومه اياه . وقد أضاف إيمانه برسالة الله ، توكله على الله واستعانته به ، فزادت قوة مواجهته ، وتحدى الموت لو قضوا به عليه ، وطالب بعدم إرجاء مايحكمون به عليه .

فهنا : التوكل على الله قد سبقه إيمان قوي ، وتصميم مؤكد على الاستمرار فى الدعوة لرسالة الله ، وهى رسالة ضد الباطل ، ورسالة الخير ضد الشر ، ورسالة الروحية ضد المادية الطاغية .

ويزيد فى توضيح هذا المفهوم للتوكل على الله ، وانه نهاية لايمان وعزم سابقين على تنفيذ أمر خير ، حق قوله تعالى : « فبما رحمة من الله لنت لهم ، ولو كنت فظا غليظ القلب لانفضوا من حولك ، فاعف عنهم واستغفر لهم ، وشاورهم فى الأمر ، فاذا عزمت فتوكل على الله ، إن الله يحب المتوكلين » (آل عمران : ١٥٩) ..

فهاتان الآيتان يوجههما القرآن الكريم لرسول الله محمد بن عبدالله عليه الصلاة والسلام ناصحا إياه :

أولا : فى أن لايستمر فى غضبه على ذلك الفريق من المسلمين الذى تخاذل فى غزوة « أحد » ضد المشركين فى سبيل الايمان بالله ، وانصرف الى الغنيمة فور أن بدرت بادرة فى نصر المؤمنين عليهم ، وأن يعفو عنهم ــ جمعاً لصفوف الأمة ــ ويستغفر الله لهم .

وثانيا : فى أن يستشيرهم فى أمور الأمة ، فاذا خلص ــ من المشورة ــ إلى رأى معين ، وعزم وصمم عليه ، فليتوكل على الله وليثق بنصره ومعاونته .

فالتوكل على الله ــ الذى طلبه القرآن هنا من الرسول عليه الصلاة والسلام ــ هو خطوة تلى قيامه بمشورة أمته ، واستخلاصة الرأى المتفق عليه ، وعزمه وتصميمه على تنفيذه .

والتوكل على الله ــ أو الثقة فى الله وفى نصره ومعاونته ــ يكون مثمرا للانسان المتوكل وذا إيجابية فى حياته ، إذا تقدمه إيمان قوي بالحق فى نفس من يتوكل على الله ، وتقدمه كذلك فى نفسه ايضا ، تصميم على تنفيذ مايؤمن به .

فهنا عنصران لجعل التوكل ذا فعالية وذا أثر فى حياة الانسان ، وهما :

الايمان بالحق وبالخير ...

والعزم والتصميم ...

فاذا انعدم الايمان ، أو كان الايمان بغير الحق وبغير الخير ، أو انعدم العزم والتصميم على تنفيذ الايمان ، فالتوكل على الله لايفيد من يعلن توكله عليه . ولهذا : اعلان التوكل على الله غير مجد فى حياة من يعلنه ، اذا افتقد عنصرا من هذين العنصرين . وتوكل المسلمين اليوم على الله لايصاحبه النجاح المؤمل فيه ، لأنه إعلان (لشعار) فحسب دون أن يكون فى نفس المعلن لهذا الشعار إيمان بما لله فى رسالته . وبذلك يختلف التوكل على الله ، الذى هو مصدر للعون فى النصر والرعاية ــ كما يتحدث عنه القرآن ــ عن التوكل على الله الذى يعلنه المسلمون فى حاضرنا شعارا وقولا ، دون أن يكون له واقع فى نفس المعلن إياه « فتوكل على الله ، إنك على الحق المبين » .. بهذا يعلل القرآن طلب التوكل على الله من رسوله صلى الله عليه وسلم .. يعلله بأنه على الحق المبين .. أي على الايمان به وعلى العزم والتصميم فى الدعوة اليه .

إن التوكل على الله ليس لفظة سحرية ينطق بها الناطق فيجاب الى مايرغب . إن التوكل على الله يستلزم قوة الايمان بالله ، كما يستلزم صلابة العزم والارادة على العمل : فى غير ضعف ، أو تردد ، أو انقطاع .

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com



دائرة المعارف القرآنية

بقلم: الدكتور محمد البهي

علاج الخلاف بين الزوجين

علاج الخلاف بين الزوجين جاء فى سورة متأخرة فى الوحي المدنى، عن الإشارة التى فى السورة الأولى منه اذ جاء ذلك فى سورة النساء، اذ هى تأخذ فى ترتيب النزول فى التشريع لبناء المجتمع الاسلامى: وضع الصورة السادسة.

والسورة الأولى المدنية اذن كانت تتفرغ لقضية الطلاق، فى العلاقة بين الزوجين. اذ الطلاق وان كان يمثل حلا لأزمة فى العلاقة بين الرجل والمرأة، الا أنه ينبىء عن خطورة هذه الأزمة، اذا ترك وضع الزوجة فيه من غير تحديد دقيق، يكفل لها سلامة الخروج من الأزمة كريمة.. غير مستذلة.. وغير مستغلة.

والوضع السابق على رسالة الرسول عليه السلام ــ وهو ما يسمى بالعهد الجاهلى.. أو العهد المادى الوثنى، وهو يتكرر إن طغت المادية والأنانية ــ يشير فى وضوح: الى أن المرأة استضعفت واستغلت فيه استغلالا كبيراً، وقاسياً، رغم ان الطلاق كان اذ ذاك من وسائل الفرقة بين الرجل والمرأة. ولكن عدم تحديده.. وتحديد نتائجه والتزاماته تحديداً دقيقاً: أدى الى سوء استخدامه، وكاد يصبح طريقاً لاذلال المرأة واكراهها على التنازل عن مالها أكثر مما هو طريق للتفرقة بينهما فى كرامة بشرية.

والتشريع القرآنى ينهى عن ذلك الطريق الجاهلى فى استخدام الطلاق. اذ تقول سورة النساء التى تتكفل اما بالنهى عن عادات جاهلية كانت قائمة بين الرجل والمرأة.. واما بتخطيط طريق العلاج لأزمة الزوجية، قبل أن يتعين الطلاق خلالها.

فيقول الله تعالى ــ فيها ــ نهيا عن استغلال الزوجة فى صور مختلفة:

« يا أيها الذين آمنوا: لا يحل لكم ان ترثوا النساء كرهاً ».

« ولا تعضلوهن لتذهبوا ببعض ما آتيتموهن، الا أن يأتين بفاحشة مبينة ».

« وعاشروهن بالمعروف، فان كرهتموهن فعسى أن تكرهوا شيئاً، ويجعل الله فيه خيراً كثيراً ».

« وان اردتم استبدال زوج مكان زوج، واتيتم احداهن قنطاراً فلا تأخذوا منه شيئاً أتأخذونه بهتاناً واثماً مبيناً » النساء ١٩، ٢٠.

.. فهى هنا عن ثلاث صور من استغلال المرأة. وقد تميز بها العهد الجاهلى فى علاقة الرجل بالمرأة.

الصورة الأولى: أن تستغل المرأة على العموم ــ زوجة، أو غير زوجة بأن يؤكل ميراثها، بضمه الى ميراث انسان يشاركها فى الأرث.. أو بالمماطلة فى عدم تحديده حتى تيأس من أخذ نصيبها فتستسلم. وتلك عادة كانت من خصائص العهد الجاهلى ــ وهى من خصائص الجاهلية، والمادية الوثنية الى يوم البعث ــ وجاء القرآن فى وصفها، فى قول الله تعالى: « وتأكلون التراث أكلا لما » (أى فى غير تمييز بين الحلال والحرام.. وبين حق هذا، وحق ذاك. والنهى عنه هو ما تعبر عنه الآية بقول الله تعالى:

« لا يحل لكم أن ترثوا النساء كرهاً ».

والصورة الثانية: أن يضايق الزوج زوجته فى المعاشرة الزوجية ليحملها على أن تفدى نفسها بالتنازل عن مهرها كله، أو بعضه، وتخلع بذلك نفسها.

« ولا تعضلوهن لتذهبوا ببعض ما آتيتموهن » (أى من مهور) الا أن يأتين بفاحشة مبينة (أى الا إذا سلكت الزوجات فى الغلظة للزوج وأهله مسلك الفحش الواضح. عندئذ يجوز للأزواج أن يأخذوا من مهرها شيئاً مقابل خلعها منه.

والصورة الثالثة: أن يريد الزوج الزواج بامرأة جديدة، على أن يطلق زوجته الحالية فتعلم بذلك، وتضطر لأن تراضيه باعطائه ما دفع من مهر كله، أو بعضه حتى لا يأتى بالجديدة ويطلقها هى:

« وان أردتم استبدال زوج مكان زوج (أى الزواج بامرأة أخرى غير التى هى موجودة على ان تطلق هذه) وآتيتم احداهن قنطاراً (أى أية واحدة من الموجودات، اذا كن أكثر من واحدة معه) فلا تأخذوا منه شيئاً. أتأخذونه بهتاناً واثماً مبيناً » (أى تأخذونه كذباً وعصياناً لما أمر به الله من حسن معاملة الزوجة. وليس من حسن معاملتها ابتزاز مالها عن طريق تهديدها. بالزواج بأخرى عليها. وما يأمر به الله هو على نحو ما جاء قبل الآية من قوله سبحانه: « وعاشروهن بالمعروف، فإن كرهتموهن فعسى أن تكرهوا شيئاً، ويجعل الله فيه خيراً كثيراً ».

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com



بقلم : الدكتور محمد البهي

القضاء والقدر

• قضاء الله هو ما يقع فى كونه تنفيذا لارادته ، ولمصلحة عباده . وارادته سبحانه وتعالى إرادة نافذة لايحول دون تحقيقها أي حائل : وقالوا : اتخذ الله ولدا ، سبحانه بل له ماق السموات والأرض ، كلٌّ له قانتون (أي خاضعون ومطيعون) . بديع السموات والأرض (أى خالقها على غير مثال ونموذج) وإذا قضى أمرا ، فإنما يقول له : كن .. فيكون (أى واذا أراد أمرا فى كونه ، ولعباده .. تحقق ووقع فور مايريد) (البقرة : ١١٦ ، ١١٧) . .. والتعبير بقوله : كن فيكون .. قصد به فقط : أن إرادته جل جلاله لا تعطل بحال ؛ وإذا كان هناك فى الوجود مالا يعطل إرادته سبحانه وتعالى فهو المتفرد فى صفات الخلق ، والقدرة والارادة .. هو المتفرد وحده فى الكمال . ولذا : لايكون هناك من يشبهه .. لايكون هناك ولد له . إذ شأن الولد أن يكون مشاركا لوالده فى الصفات .

• وارادة الله فى عالم الانسان يصورها : « قانون عام أو مبدأ عام » من تلك القوانين والمبادئ التى تحكم الحياة الانسانية للأفراد والمجتمعات .

فوحي الله فى كتابه يمثل إرادة الله وقضاءه . وهذه الارادة تتبلور فى مجموعة من القوانين والمبادئ التى تنظم سلوك الانسان ، وتحدد دائرة اعتقاده . يقول الله تعالى : « وما كان لمؤمن ولا مؤمنة إذا قضى الله ورسوله أمرا : أن يكون لهم الخيرة من أمرهم ، ومن يعص الله ورسوله فقد ضل ضلالا مبينا » (الأحزاب : ٣٦) .. وقضاء الله ورسوله الذى تجب على المؤمنين والمؤمنات طاعته وعدم مخالفته هنا ــ وليس لهم خيرة بالتالى فى قبوله أو فى رفضه ــ هو ما أوحى به الله لرسوله صلى الله عليه وسلم فى قرآنه الكريم . وما جاء فى هذا القرآن الكريم هو ضوابط أو قوانين ، أو أحكام عامة تحدد الروابط الإنسانية بين الفرد والفرد ، والأفراد بعضهم مع بعض فى الأمة ، فى شئون المعاملات المختلفة ، وشئون الأسرة ، وشئون الأمة كدولة فى سياستها الداخلية ، وفى علاقتها الخارجية مع أمم لاتسلك مسلكها فى الاعتقاد والايمان .. وفيما قبل هذا كله : تحدد صلة الفرد بالله فى عبادته ، وفى أداء فروض هذه العبادة .

والقرآن لا يتناول هذه الشئون كلها الا فى صيغ عامة . كصيغة المؤمن والمؤمنة هنا ، بغض النظر عن أشخاص المؤمنين والمؤمنات فى عهد أو عهود مختلفة .. كما لايتناولها الا داخل إطار عام كاطار وجوب الطاعة لأوامر الله ــ أى أوامر له ..

وربط الضلال بالعصيان والمخالفة لأى أمر منها . وإذا ذكر فى تفسير بعض ما جاء فى القرآن سبب خاص فان هذا السبب الخاص لايحول دون بقاء ماورد فيه على عموم لفظه ولذا يؤثر عن علماء أصول الفقه قولهم : العبرة بعموم اللفظ ، وليس بخصوص السبب .

وربط النتائج بمقدماتها فى ترقب وقوع النتائج وتحققها عندما توجد مقدماتها فى حياة الأفراد والمجتمعات كقوانين عامة ، بغض النظر عن تحديد الجزئيات .. يصور ذلك قانونا عاما اقتضته إرادة الله : كربط ضرورة تغير المجتمع بفساد بعض أفراده ، على نحو مايذكره قول الله تعالى . « واذا أردنا أن نهلك قرية (أي أن نطيح بمجتمع ونبيد نظامه وأسسه) أمرنا مترفيها ففسقوا فيها وبذلك تتاح لهم الفرصة للخروج السافر عن القيم العليا فى سلوكهم ومواقفهم) فحق عليها القول (أي وعندئذ ينطبق على هذا المجتمع العابث : قضاء الله بتغيره) فدمرناها تدميرا (أى وليس بعد قضاء الله بالتغيير : إلا نفاذ قضائه وارادته فى الوقت المعلوم له : « وماأهلكنا من قرية (أي مجتمع) إلا ولها كتاب معلوم (أي أجل محدد) . ماتسبق من أمة أجلها وما يستأخرون » (الحجر : ٤ ، ٥) .. فمثل هذا الربط بين المقدمات والنتائج فى تعاقب المجتمعات البشرية هو ربط عام لايتقيد بمجتمع معين . وانما كلما انتشر الفساد فى صوره المختلفة فى اى مجتمع ، وفى اى عهد او جيل كلما يتوقع له التغيير . ولكن متى يقع هذا التغيير فذلك أمره عنده الله : « وما أهلكنا من قرية إلا ولها كتاب معلوم » . وهذا الربط العام ــ أو هذا التلازم بين المقدمات والنتائج فى حياة المجتمعات البشرية ــ يصور قضاء الله وارادته التى لا تقبل التعطل عن النفاذ بأى حال .

وقد يكون لهذا القانون العام أمثلة جزئية وقعت بالفعل فى حياة هذه المجتمعات . كما يقص القرآن الكريم ، مخاطبا الرسول محمدا عليه السلام تطمينا ومؤكدا له : عدم تخلف هذا القانون ــ فى قول الله تعالى : « وان يكذبوك فقد كذبت قبلهم : قوم نوح ، : وعاد ، وثمود . وقوم إبراهيم . وقوم لوط . وأصحاب مدين ، وكذب موسى ، فأمليت للكافرين ، (أى أمهلتهم) ثم أخذتهم (أى نفذت فيهم قضاء الله بالتغيير) فكيف كان نكير . فكأين من قرية أهلكناها وهى ظالمة ، فهى خاوية على عروشها ، وبئر معطلة ، وقصر مشيد . » (الحج : ٤٢ ــ ٤٥) . وبعد أن أعطت هذه الآيات الأمثلة الجزئية لتطبيق قضاء الله وارادته كقانون عام .. عقبت بذكر هذا القانون مرة أخرى فيما تقوله : « فكأين من قرية أهلكناها وهى ظالمة ، فهى خاوية على عروشها » .. وبذلك أعادت الربط بين ضرورة تغيير المجتمع ووقوع الظلم فيه . وليس الظلم إلا فسادا ، وإلا كفرا برسالة الله .

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com



دائرة المعارف القرآنية

بقلم : الدكتور محمد البهي

الطَّلاق

القرآن الكريم أقر مبدأ الطلاق اذ هو الحل الأخير للضرر الذى يصيب أحد الزوجين أو هما معاً . وبذلك لا يعرف الاسلام الأبدية فى عقد الزواج ، وهو عقد مشاركة فى حياة . أريد لها أن تكون مطمئنة ، وقائمة على المودة والرحمة .

وجعله ثلاث مرات : مرة ، بعد أخرى . فيقول تعالى :

« الطلاق مرتان ، فامساك بمعروف ، أو تسريح باحسان » البقرة : ٢٢٩ أى بعد المرة الأولى ، فالثانية : يكون الأمر : إما إمساك فى انسانية وتهذيب . وإما مفارقة وتسريح فى إنسانية وتهذيب كذلك . أى لا يكون هناك ضرر على الأقل فى استمرار المعاشرة الزوجية .. كما لا تكون هناك سوء معاملة عند المفارقة .

.. وأباح عند سوء المعاشرة وخروج الحياة الزوجية عن المألوف والمعروف وتضرر الزوجة بها : أن يسترد الزوج مهر زوجته : كلا أو بعضاً منه : فيقول :

« ولا يحل لكم أن تأخذوا مما آتيتموهن شيئاً » (أى كقاعدة عامة لا يجوز للزوج أن يستعيد لنفسه من مهر زوجته شيئاً ما) .

« الا أن يخافا : ألا يقيما حدود الله » (أى فى الحياة الزوجية بكونها لم تعد للسكنى والاطمئنان .. والمودة والرحمة) « فإن خفتم ألا يقيما حدود الله فلا جناح عليهما فيما افتدت به » (وفى هذه الحالة ــ وهى حالة الخشية من خروج الحياة الزوجية عن السكنى ، والمودة ، والرحمة ــ لا حرج على الزوجة فى أن تعطى لزوجها فدية لا تتجاوز ما أعطى لها من مهر .. ولا حرج على زوجها فى قبول الفدية منها ، مقابل إنهاء الحياة الزوجية بينهما) « تلك حدود الله فلا تعتدوها ، ومن يتعد حدود الله فأولئك هم الظالمون » البقرة : ٢٢٩ .

.. وفى حالة ما تفدى الزوجة من مهرها ، وينتهى ما بينها وبين زوجها من حياة زوجية : تسمى هذه الحالة خلعاً لأن المرأة سعت بفديتها الى أن تخلع نفسها من زوجها . وعدتها عندئذ حيضة واحدة . لما يروى عن ابن عباس : أن امرأة ثابت ابن قيس اختلعت منه فجعل النبى صلى الله عليه وسلم عدتها حيضة واحدة .

.. وهل الخلع عندئذ طلاق .. أى يتوقف أمره على طلاق الزوج ؟

يرى بعض الفقهاء : أن الخلع رغم أن فيه مراضاة من المرأة للزوج هو طلاق ، وليس فسخاً .

أى أنه يتوقف على مشيئة الزوج فى الطلاق .

ويستند هذا البعض من الفقهاء الى ما يروى عن ابن عباس فى رواية البخارى « أن امرأة ثابت بن قيس ــ وهى جميلة بنت أبى سلول ــ أتت النبى صلى الله عليه وسلم فقالت : يا رسول الله . ما أعتب عليه فى خلق ، ولا دين ، ولكنى أكره الكفر فى الاسلام . فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم :

أتردين عليه حديقته (وهى التى أعطاها زوجها اياها مهراً) ؟ قالت : نعم ، قال (أى الرسول عليه السلام لزوجها) : اقبل الحديقة ، وطلقها تطليقة واحدة (والطلقة الواحدة فى الخلع تبين بها الزوجة بينونة صغرى أى لا تحل بعدها الزوجة لزوجها الا بعقد جديد) .

« بينما يرى بعض آخر من الفقهاء : أن الخلع فسخ (بحكم القاضى) أى لا يتوقف على طلاق الزوج وانما للقاضى أن يفرق بينهما . ويستند هذا البعض الى حديث آخر ، وهو : أنه كان لثابت بن قيس هذا امرأة ثانية تسمى : حبيبة بنت سهل .

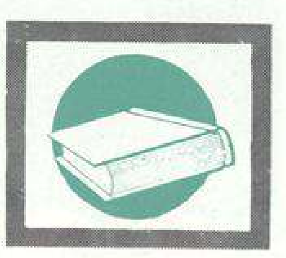
فجاءت تشكوه للرسول صلى الله عليه وسلم ، وأنه ضربها حتى كسر بعض جسمها . وقالت مرة :

انه دميم ، وطلبت فراقه فأخذ (أى الرسول) منها : ما كان قد أعطى لها من مهر وجلست فى أهلها . ويرى فيه : أنه دليل على أن الخلع فسخ وليس بطلاق . لأنه لو كان طلاقاً لاقتضى شروط الطلاق من وقوعه : فى طهر لم تمس فيه .. ومن كونه من قبل الزوج وحده من غير مراضاة المرأة . ولأن العدة منه حيضة واحدة .

وابن القيم من أصحاب هذا الرأى . ويقول :

الدليل على أن الخلع فسخ وليس بطلاق : أنه رتب على الطلاق بعد الدخول : ثلاثة أحكام ، كلها منفية عن الخلع : أولها أن الزوج أحق بالرجعة ،

والخلع لا رجعة فيه . والثانى محسوب من الثلاث طلقات ، والخلع زائد عليها . والثالث أن عدة المطلقة ثلاثة « قروء » ، بينما عدة المختلعة « قرء » واحد .



بقلم : الدكتور محمد البهي

التهذيب في المعاملة

حددت ثلاث آيات مدنية في سورة مكية ــ وهي سورة الأنعام ــ إطار هذه المعاملة : بعبادة الله وحده ... وبالإحسان للوالدين ... وبعدم قتل الأولاد خشية الفقر .. وبعدم الاقتراب من الفواحش والجرائم الظاهرة والخفية على السواء ... وبعدم قتل النفس التي حرم الله قتلها إلا بالحق ، وبالوفاء في الكيل فيما يكال ، وفي الوزن فيما يوزن .. وبالعدل في القول ، والشهادة ، وفي الحكم بين اثنين ، ولو كان أحدهما قريباً لمن يقول ، أو يشهد أو يحكم .. وبالوفاء بعهد الله . يقول الله تعالى .

«قل تعالوا : أتل ماحرم ربكم عليكم :

« ألا تشركوا به شيئاً (إذ الشرك بالله أساس العبث والفساد في السلوك فالاتجاه في العبادة لغير الله هو اتجاه للمنفعة الشخصية . والمنفعة الشخصية يمليها الهوى ، والمشرك بالله لايلتزم طريقاً واحداً في الحياة . وانما يسلك طرقاً عديدة ، وملتوية لاقتناص منفعته الشخصية) .

«وبالوالدين إحسانا » (والاحسان للوالدين أمارة على وفاء الأولاد . إذ أصبحوا في وضع ليست لهم حاجة إلى والديهم . فوفاؤهم عندئذ دليل على مستواهم الإنساني الرفيع) .

« ولا تقتلوا أولادكم من املاق ، نحن نرزقكم واياهم » (وعدم قتل الأولاد خشية الفقر دليل على تحمل مسئولية الآباء نحو أولادهم ، وتحمل المسئولية شعور إنساني كريم يدفع بالإنسان إلى درجة المستوى الفاضل في الإنسانية) .

« ولاتقربوا الفواحش ماظهر منها وما بطن » (وهي المنكرات والجرائم الاجتماعية من : زنا .. وقتل .. وسرقة . والنهي عن اقترافها هو نهي عن ذلك ، سواء في السر أو العلن .. في الظاهر والباطن . وعدم مباشرة هذه الجرائم مظهر ينم حقيقة عن التحول عن طريق الإيمان . من المجتمع الجاهلي إلى المجتمع الإنساني) .

« ولا تقتلوا النفس التي حرم الله إلا بالحق ، ذلكم وصاكم به لعلكم تعقلون » (وعدم قتل النفس في غير رد اعتداء ، أو في غير قصاص دليل كذلك على تعاطف الإنسان نحو الإنسان . والتعاطف درجة رفيعة في الإنسانية) .

« ولا تقربوا مال اليتيم إلا بالتي هي أحسن حتى يبلغ أشده » (وكذلك مباشرة مال اليتيم ــ وهو الضعيف الذي لايقوى على إدراك مايصنع بماله ، وإن أدرك لايقوى على مقاومة العبث فيه ، بالطريق الأمثل فى إنمائه ، والحرص عليه أمارة التحول من الماضى البغيض .. إلى المجتمع المؤمن وهو الانساني .

« وأوفوا الكيل والميزان بالقسط ، لانكلف نفساً إلا وسعها » (وكذلك وفاء الكيل والميزان بالعدل إن دل على بعد عن الأنانية في المعاملة .. وبالتالي على الروح الإنسانية فيها : فإنه من جانب آخر دليل على يقظة الوعي الإنساني في الإنسان الذي يفي بما يلتزمه على أساس من العدل نحو الآخرين . يقظة الوعي في الإنسان هي ترجمة لمستوى رفيع من انسانيته) .

« وإذا قلتم فاعدلوا ، ولو كان ذا قربى » (وعلى نحو ممارسة العدل فيما يلتزمه الانسان نحو الآخرين من وفاء فيما يكال أو يوزن ، ومن دلالة ذلك على انسانيته : مايدلي به الإنسان من قول لصالح بعض الأطراف في النزاع بينهم . فإن الحياد فيه ــ أو العدل فيه ــ له نفس الدلالة على انسانية القائل) .

« وبعهد الله أوفوا » (وكذلك الشأن في الوفاء بالعهد . إذ هو التزام على تحقيق هدف خير . وأداء الخير للآخرين هو عطاء من إنسانية المؤدي ، وتعبير عن مستواه الرفيع فيها) « ذلكم وصاكم به لعلكم تذكَّرون » « وأن هذا » (أي كل ما ذكره من الوصايا هنا) « صراطي مستقيماً فاتبعوه ولا تتبعوا السبل » (أي الأخرى التي عداه ، وهي سبل ملتوية) ، « فتفرق بكم عن سبيله ، ذلكم وصاكم به لعلكم تتقون » الأنعام (١٥١ ــ ١٥٣) .

وإذا كانت هذه الوصايا تمثل مجمل الإطار العام للتهذيب في المعاملة .. فإن الآيات الأخرى التي جاءت في الوحي المدني تزيد في توضيح ماأجمل فيها :

ــ فجاء في أدب التحية قوله تعالى :

«وإذا حييتم بتحية فحيوا بأحسن منها أو ردوها ، إن الله كان على كل شيء حسيبا » النساء : ٨٦ .

ــ وجاء في أدب المساكن :

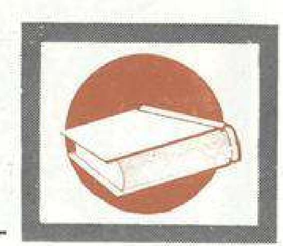
« يأيها الذين آمنوا لاتدخلوا بيوتاً غير بيوتكم حتى تستأنسوا ، وتسلموا على أهلها » (فربط جواز دخول مساكن الآخرين بأمرين : الأمر الأول باستئناس القبول من الساكنين : عند القادم . وهذا أمر أخص من الإذن بالدخول . إذ يجوز أن يأذن الساكنون بالدخول لقادم وليست لديهم رغبة أكيدة في لقائه . والاستئناس إذن هو التحسس بهذه الرغبة بعد الإذن بالدخول . والأمر الثاني أن يلقوا على الساكنين : السلام ، تطمينا لنفوسهم « ذلكم خير لكم لعلكم تذكَّرون .

فإن لم تجدوا فيها أحداً فلا تدخلوها حتى يؤذن لكم .

« وإن قيل لكم : ارجعوا فارجعوا هو أزكى لكم ، والله بما تعملون عليم ».

« ليس عليكم جناح : أن تدخلوا بيوتاً غير مسكونة فيها متاع لكم ، والله يعلم ماتبدون وما تكتمون » النور : ٢٧ ــ ٢٩ .

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com



دائرة المعارف القرآنية

بقلم : الدكتور محمد البهي

تيسير الأمور على المطلّقة

التشريع القرآنى فى سورة البقرة ، وهي السورة الأولى فى الوحي المدنى ، عني فى علاقة الزوجين بالطلاق وحل ما يترتب عليه من مشاكل : كمشكلة العدة .. ومشكلة افتداء المرأة نفسها بمهرها أو ببعض منه .. ومشكلة المهر المسمى أو غير المسمى لغير المدخول بها .. ومشكلة رعاية المطلقة لفترة من الزمن بعد طلاقها .. ومشكلة خطبة المطلقة أثناء عدتها ، وذلك وقاية منه للمرأة وحفظاً لحقوقها فى حياة انسانية كريمة ..

وهذا التشريع المدنى ذاته فى تطوره يستمر يرعى كفالة الحياة الانسانية الكريمة للمرأة المطلقة ، فى سوره التى نزلت بعد البقرة :

ففى السورة الثالثة عشرة فى التشريع المدنى ، وهى سورة « الطلاق » أهاب القرآن الكريم بالمؤمنين أن يتجنبوا العسر والأزمات فى معاملة المطلقة .. أى يتجنبوا التضييق عليها واحراجها ، أو تفويت رغبة مشروعة عليها :

١ ـ فيطلب من الرسول عليه السلام والمؤمنين معه : أن يقع الطلاق فى طهر حتى تستقبل المرأة المطلقة عدتها بالحيضة المقبلة . وذلك للزوجة التى تحيض ، ومدخول بها . وبذلك لا تضيع عليها فترة لا تحسب فى عدتها . يقول الله تعالى :

« يا أيها النبى : اذا طلقتم النساء فطلقوهن لعدتهن (أى اذا أردتم تطليق النساء فليقع الطلاق مقترناً بالعدة .. أى تحسب العدة على أثر الطلاق مباشرة) وأحصوا العدة واتقوا الله ربكم » أول سورة الطلاق .

٢ ـ كما يطلب منهم عدم اخراجهن من المساكن التى كن بها على عهد الزوجية الا إذا أغلظن عليكم وفحشن فى القول . يقول تعالى ، متمما للآية السابقة :

« لا تخرجوهن من بيوتهن (أى لا يجوز لكم اخراج مطلقاتكم من البيوت التى كن يسكن فيها) .

« ولا يخرجن (أى بإرادتهن الخاصة دون اتفاق معكم) ،

« الا أن يأتين بفاحشة مبينة (أى الا أن يغلظن فى القول معكم فيجوز عندئذ اخراجهن) وتلك حدود الله ، ومن يتعد حدود الله فقد ظلم نفسه .

« لا تدرى لعل الله يحدث بعد ذلك أمراً » أول سورة الطلاق .

٣ ـ وحسماً للنزاع بين الزوجين عند الفرقة النهائية أو المراجعة : يطلب التشريع المدنى بين الزوجين ـ كما يطلبه التشريع المدنى عامة فى كل عقد بين طرفين ـ أن يوجد شاهد عدل على الفرقة ، أو الرجعة : يقول الله تعالى فى سورة الطلاق أيضاً :

« فاذا بلغن أجلهن (أى انتهت عدتهن) فأمسكوهن (أى راجعوهن) بمعروف ، أو فارقوهن بمعروف (أى طلقوهن باحسان) وأشهدوا ذوى عدل منكم ، وأقيموا الشهادة لله .

« ذلكم يوعظ به من كان يؤمن بالله واليوم الآخر (أى ينصح به من لم يكن مادياً وثنياً) .

« ومن يتق الله يجعل له مخرجاً ، ويرزقه من حيث لا يحتسب ، ومن يتوكل على الله فهو حسبه ، ان الله بالغ أمره ، قد جعل الله لكل شيء قدراً » سورة الطلاق ٢ ، ٣ .

٤ ـ ويؤكد مرة أخرى عدم الاضرار بالمطلقات فى أية صورة من صور الاضرار . فيقول فى سورة الطلاق كذلك :

« أسكنوهن من حيث سكنتم من وجدكم (أى حسب مقدرتكم ـ اذا لم يكن فى مسكن الزوجية) .

« ولا تضاروهن (أى فى السكنى) لتضيقوا عليهن (أى وبالتالى تخرجوهن بمضايقتكم لهن حتى يخرجن من مساكنكم) .

« وإن كن أولات حمل فأنفقوا عليهن حتى يضعن حملهن (أى وبالاضافة الى السكنى يلتزم الأزواج بالانفاق عليهن طيلة عدتهن . فإن كن صاحبات حمل فعدتهن الى الوضع) .

« فإن أرضعن لكم فآتوهن أجورهن (أى بعد الولادة وانتهاء العدة) .

« وأتمروا بينكم بمعروف (أى فى شأن الرضاعة والأجر عليها . أى ليكن أمرها بين الزوجين على أساس من المشاورة والاتفاق بينهما) .

« وإن تعاسرتم فسترضع له أخرى (أى وان تضايقتم ولم يتفق الوالدان على أجرة الرضاعة بأن بالغت الأم فى اجرتها .. أو بالغ الأب فى التقليل منها ، فلا حرج على الوالدين عندئذ من أن ترضع الطفل امرأة أجنبية أخرى ، يتفق الوالد معها ، حسماً للنزاع بين الوالدين) .

« لينفق ذو سعة من سعته ..

ومن قدر عليه رزقه فلينفق مما آتاه الله ، لا يكلف الله نفساً الا ما آتاها ، سيجعل الله بعد عسر يسرا » الطلاق : ٦ ، ٧ .

٥ ـ كما يتيح الفرصة لمن لم تحض : أن تحسب عدتها بالشهر ، بدلا من القرء . يقول الله تعالى فى السورة ذاتها :

« واللائى يئسن من المحيض من نسائكم (أى بلغن سن اليأس) إن ارتبتم (أيها الأزواج وشككتم فى حملهن) فعدتهن ثلاثة أشهر .

« واللائى لم يحضن ، وأولات الأحمال ، أجلهن أن يضعن حملهن ، ومن يتق الله يجعل له من أمره يسراً » الطلاق : ٤ .

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com



بقلم : الدكتور محمد البهي

في أدب الرجال والنساء

قال الله تعالى « قل للمؤمنين يغضوا من أبصارهم (وغض الرجال من نظرهم عند لقاء النساء ، هو عدم الاسترسال فى النظر اليهن ، « وعدم ملاحقتهن بالنظرات الجارحة لحيائهن) .

ويحفظوا فروجهم (فلا يباشروا المعاشرة الجنسية غير المشروعة . وهى الزنا إذ فى اقتراف جريمة الزنا انتهاك بحرمة المرأة .. وضياع لشرف الرجولة ، الذى يتمثل فى المسئولية الفردية عن الولد) ذلك أزكى لهم (أى ما جاء هنا خاصاً بالرجال فى أدب اللقاء مع النساء هو طريق الطهر والنمو فى العلاقة بين الاثنين) ان الله خبير بما يصنعون .

وقل للمؤمنات يغضضن من أبصارهن (أى لا يتابعن الرجال بالنظرات ، ولا يثرن بنظراتهن الفتنة فيهم) .

ويحفظن فروجهن (أى لا يقترفن جريمة الزنا ، لأن مباشرتها منهن ليس فيها اهدار لكرامتهن فحسب ، بل فيها أيضاً : اعتداء على كرامة المجتمع ، وعلى تحديد المسئولية الخاصة برعاية الأطفال الذين يلدنهم ، عن طريق اقتراف هذه الجريمة) .

ولا يبدين زينتهن إلا ما ظهر منها (أى وليسترن أبدانهن . إذ المراد بزينة المرأة : بدنها . فهو فى ذاته فتنة للرجل ، لو كشفت عنه أو عن بعض أجزائه . ولكن يسمح لها بالكشف عن الوجه والكفين لضرورة حاجتها فى الحركة والتعامل مع الآخرين أو الأخريات .

« وليضربن بخمرهن على جيوبهن (أى وليسدلن من لباس الرأس على نحورهن وصدورهن بما يغطيها) .

ولا يبدين زينتهن (أى يظهرن من أبدانهن ، عدا العورة) إلا لبعولتهن (ازواجهن) أو ابائهن ، أو اباء بعولتهن أو ابنائهن ، أو أبناء بعولتهن ، أو اخوانهن ، أو بنى اخواتهن ، أو بنى اخواتهن ، أو نسائهن ، أو ما ملكت ايمانهم ، (من النساء) أو التابعين غير أولى الأربة من الرجال (أى الذين يتبعونكن لفضل يترقبونه منكن من الرجال الذين ليست لهم حاجة الى النساء : لبله ... أو لعجز ... أو شيخوخة) أو الطفل الذين لم يظهروا على عورات النساء (ويراد بهؤلاء الأطفال : الصغار الذين لم يستطيعوا بعد أن يميزوا : ما هى عورة المرأة ، وربما يقصد بهؤلاء الأطفال من هم فى سن الطفولة المبكرة) .

ولا يضربن بأرجلهن ليعلم ما يخفين من زينتهن (أى ولا يحركن أرجلهن فى المشية أو فى الجلوس : حركة تكشف عن سيقانهن) .

وتوبوا الى الله جميعاً أيها المؤمنون لعلكم تفلحون (والتعقيب بطلب التوبة من المؤمنين والمؤمنات جميعاً ينبىء عن : ان ما أمر به المؤمنون والمؤمنات هنا الآن من : غض البصر عند اللقاء .. وعدم مباشرة الزنا .. وعدم ابداء المرأة زينتها لغير محرم لها .. واسدالها خمارها على نحرها وصدرها .. وعدم تحريك رجليها ، بمايكشف عن ساقيها : كانت اباحته من العادات السائدة فى العصر الجاهلى للمجتمع العربى السابق ، وكذلك فى المجتمعات الحضارية المادية فى عصر ماقبل الرسالة : فلم تكن المرأة بماتكشف به عن فتنة بدنها لأجنبى عنها ..

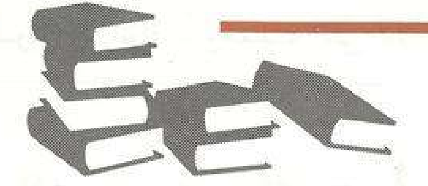
أو بما تبيحه لنفسها من معاشرة جنسية غير مشروعة : تعتقدأنها ترتكب أمراً مخالفاً للآداب السائدة فى مجتمعها إذ ذاك . كما تفعل المرأة الآن بنفسها لاغراء الرجل واثارته نحو المرأة : من الكشف عن مفاتنها وعن تجسيم ما تبقى من بدنها بلباس يكاد يحدد عورتها . ولم يكن الرجل بما يفعله إذ ذاك من التقاء المرأة بنظراته .. وبما يبيحه لنفسه من معاشرتها معاشرة حيوانية فى أية صورة من صورها : يشعره بمخالفة يخجل منها لأنها ضد تقاليد مجتمعه أو ضد آدابه فى السلوك) النور : ٣٠ــ٣١ .

ــ وجاء فى أدب الجلوس ، قوله تعالى :

« يا أيها الذين آمنوا . إذا قيل لكم تفسحوا فى المجالس فافسحوا ، يفسح الله لكم (أى فى نعيمه ورضاه) .

وإذا قيل لكم : انشزوا (أى ارتفعوا من أمكنتكم لضرورة اقتضتها التوسعة فى المجلس) فانشزوا ، يرفع الله الذين آمنوا منكم ، والذين أوتوا العلم درجات (أى وبسبب طاعتكم هنا واستجابتكم لما يطلب منكم فى أدب الجلوس : يزد الله من منازلكم لديه) والله بما تعملون خبير » المجادلة : ١١ .

دائرة المعارف
القرآنية



بقلم : الدكتور محمد البهي

سبيل الله

إن المتتبع لآيات الله فى كتابه الكريم ، فيما عبرت به هذه الآيات : عن « سبيل الله » .. يجد : أن الكفر بالله وعدم الإيمان به ابتعاد عن سبيل الله . « أم تريدون أن تسألوا رسولكم ، كما سئل موسى من قبل ؟ ومن يتبدل الكفر بالإيمان فقد ضل سواء السبيل » (١) .. فالآية قد جعلت تحدى الماديين الوثنيين بمكة على عهد الرسول — صلى الله عليه وسلم — لرسالته ، وكفرهم بوحدانية الله ، ضلالاً وانحرافاً عن سواء السبيل . وسواء السبيل — أو السبيل السوى المستقيم — هو سبيل الله.

.. ويجد أيضاً : أن اتباع هوى النفس وشهوتها ضلال وبعد أيضاً عن سواء السبيل . ففى نداء الله لداود عليه السلام بقوله : « ياداود : انا جعلناك خليفة فى الأرض ، فاحكم بين الناس بالحق ، ولا تتبع الهوى فيضلك عن سبيل الله ، إن الذين يضلون عن سبيل الله لهم عذاب شديد بما نسوا يوم الحساب » (٢) .. ففى نداء الله هذا : يربط بين اتباع الهوى والضلال عن سبيل الله .. أى يربط بين السلوك الأنانى ، والانحراف عن الخط المستقيم الذى هو سبيل الله .

... ويجد كذلك : أن الشرك بالله وجعل أنداد له ، ابتعاد عن سبيل الله : « ألم تر الى الذين بدلوا نعمة الله كفراً ، وأحلوا قومهم دار البوار .. الى أن يقول : وجعلوا لله أنداداً ليضلوا عن سبيله ، قل تمتعوا فإن مصيركم الى النار » (٣) .

.. ويجد أيضاً : أن اتباع الظن والكذب فى السلوك والمواقف ، انحراف عن سبيل الله « وتمت كلمة ربك صدقاً وعدلاً ، لا مبدل لكلماته ، وهو السميع العليم . وإن تطع أكثر من فى الأرض يضلوك عن سبيل الله ، إن يتبعون الا الظن ، وان هم الا يخرصون » (٤) .. فإذ ينهى الرسول عليه السلام عن مخالفة كتاب الله الى رأى اتباع الناس مهما كثر عددهم ، فإنما يربط بين رأيهم ، واتباع الظن أو الكذب فيه . واتباع الظن أو الكذب هو تجنب للصراط السوى ، وهو صراط الله .



وهكذا : الكفر بالله ، واتباع الهوى والأنانية .. والشرك بالله .. واتباع الظن أو الكذب : انحراف وابتعاد عن سبيل الله وسبيل الله إذن هو : سبيل الهداية ، وسبيل الإيمان ، وسبيل التضحية من أجل الإيمان ، وسبيل المصلحة العامة .

سبيل الله هو السبيل الانسانى المهذب الذى يرتفع فيه الانسان فى معاملة الآخرين عن : النفاق والانتهازية ، وعن الأنانية والاستغراق فى الشهوات والمتع المادية ، وعن التخمين والتصورات التى قد لا تصيب الواقع . والذى يسلك سبيل الله هو : من يحب غيره كما يحب نفسه .. وهو من يصارح غيره ويكون مرآة له يرى فيها عيوبه .. وهو من يتبع العلم واليقين فى مواقفه من الآخرين .. وهو — قبل ذلك كله — من يؤمن بالله وحده ، دون أن يشرك معه أحداً سواه : فى الاحترام ، والتقديس ، والعبادة . اذ من يؤمن بالله وحده لا ينافق انساناً آخر معه ، ولا يخدعه ، ولا يؤثر ذاته بالحب وحدها ، دون الآخرين فى محيط وجوده .

سبيل الله هو : هداية الله التى سجلها فى كتابه الكريم ، وأوحى به الى رسوله محمد بن عبد الله ، عليه الصلاة والسلام .. هو رسالة الإسلام ، الذى هو السلام بين الناس على هذه الأرض .

هوامش :

(١) البقرة : ١٠٨ .
(٢) ص : ٢٦ .
(٣) ابراهيم : ٢٨ — ٣٠ .
(٤) الانعام : ١١٥ — ١١٦ .

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

بقلم : الدكتور محمد البهي

مسئولية الإنسان

• الانسان فى أجياله المتعاقبة — فى اعتبار الاسلام — لا يحمل خطيئة أو معصية ارتكبها سلف له من قبل . وعصيان آدم فى الجنة كان عصياناً في طابعه الشخصى ولم يأخذ الطابع النوعى للانسان بحال . وجزاؤه على هذا العصيان — لذلك — كان طرده هو وحواء من الجنة : قالا ربنا ظلمنا أنفسنا ، وان لم تغفر لنا وترحمنا لنكونن من الخاسرين . قال : « اهبطوا بعضكم لبعض عدو ، ولكم فى الأرض مستقر ومتاع إلى حين » الأعراف : ٢٣ — ٢٤ .. ولذا فكل مولود يولد .. هو على الفطرة .. لا يحمل وزراً سبق ، ولا يسهم فى خطيئة ارتكبت قبل مولده . وهنا فى الاسلام ليست جريمة ولا ذنب يتوارث : يسأل عنه جيل بعد جيل .

• والطابع الشخصى للمسئولية الانسانية يبرزه قول الله تعالى : « وكل انسان ألزمناه طائره فى عنقه (أى أن حظ كل انسان من الخير والشر ، ومن العمل الحسن والعمل القبيح ، ملازم ومصاحب له :ومطوق به عنقه ، لا ينفك عنه بحال ، وطائر الانسان ، هو حظه . وجاء استعمال القرآن به ، جريا على قول العرب : جرى لفلان الطائر بكذا .. وبكذا ، من الخير والشر ، تفاؤلا أو تشاؤما) ونخرج له يوم القيامة كتاباً يلقاه منشوراً (أى مسجلا مفتوحاً) : اقرأ كتابك كفى بنفسك اليوم عليك حسيبا . من اهتدى فإنما يهتدى لنفسه ، ومن ضل فانما يضل عليها ، ولا تزر وازرة (أى لا تحمل نفس خاطئة) وزر أخرى (أى خطيئة أخرى) وما كنا معذبين حتى نبعث رسولا (أى لانجازى أحداً بالعذاب على خطيئته وكفره الا بعد أن نقيم الحجة عليها بارسال الرسول المصطفى وبابلاغ رسالته إلى الناس عامة (الاسراء : ١٣ — ١٥) .. فهذه الآيات الثلاث توضح :

أولا : — أن عمل كل انسان من صواب وخطأ ، وخير وشر .. يسجل له ويصحبه لا يفارقه . ويوم الجزاء يعرض عليه ليراجعه .

وثانياً : أن نوع العمل الذى يباشره الانسان فى حياته — ان كان هداية أو ضلالاً ، أو احساناً أو سيئاً — هو له وحده ، ولا يختلط بعمل غيره بحال من الأحوال وانه مهما كانت هناك صلة وثيقة أو قربى بين انسان وآخر .. فإن ايا منهما لا يحمل عن الآخر خطأه ، كما لا يضاف إليه صوابه : « ولا تزر وازرة وزر أخرى ، وان تدع مثقلة إلى حملها لا يحمل منه شيء ولو كان ذا قربى » (فاطر : ١٨) .

ونظرة الاسلام إلى مسئولية الانسان الشخصية عن عمله .. هى نظرة الرسالة الالهية منذ أن أتى بها رسول من قبل الله جل شأنه .. حتى محمد بن عبد الله عليه الصلاة والسلام . وذلك فيما يقصه القرآن فى قول الله تعالى :

« أفرأيت الذى تولى . وأعطى قليلا واكدى (أى قطع عطاءه ويئس من عمل الخير) . اعنده علم الغيب فهو يرى (أى أن لا فائدة من صنع الخير) . أم لم ينبأ بما فى صحف موسى (وهى التوراة) . وابراهيم الذى وفى (أى وصحف ابراهيم الخليل ، وهى رسالته) . ألا تزر وازرة وزر أخرى . وأن ليس للانسان الا ما سعى ، وأن سعيه سوف يرى » (النجم : (٣٣ — ٤٠) فما فى صحف : موسى وابراهيم وهما من أصحاب الدور الرئيسى فى الرسالة الالهية للبشر — ينبىء فى وضوح : عن تحديد المسئولية الانسانية الشخصية ، على نحو ما ذكرته آيات القرآن السابقة من :

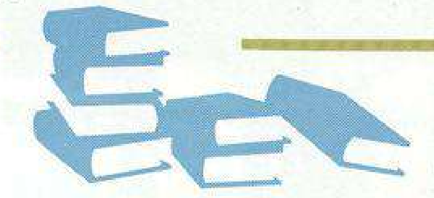
(أ) أنه ليس للانسان الا سعيه ، وعمل الخير والصواب ، وأن هذا العمل سوف يعلم ويرى رأى العيان يوم الجزاء .

(ب) ثم : أنه لا تضاف إلى نفس اخطأت فى سلوكها أو فى اعتقادها أخطاء نفس أخرى . وانما هناك عدل تام : إن فى جانب العمل الصالح فلا تحرم منه نفس باشرته ، وإن فى جانب العمل السيىء فلا ينقل من نفس مسيئة إلى نفس قد أساءت كذلك .

• وتعود هذه المسئولية الشخصية — فى نظر الاسلام — إلى ما يتميز به الانسان من عقل وادراك ، عن بقية الكائنات الأخرى . فتميزه بالعقل جعل له السيادة والخلافة عن الله فى الأرض : « وهو الذى جعلكم خلائف الأرض ، ورفع بعضكم فوق بعض درجات .. ليبلوكم فيما آتاكم » (الانعام : ١٦٥) ولكن فى الوقت نفسه جعله مسئولا فيما يباشره من عمل : « ليبلوكم فيما آتاكم » .. ليختبركم فيما أعطاكم من نعمة العقل والخلافة عن الله فى الأرض ، وفضل بعضكم على بعض فى مستوى ما يرفع به الشأن درجات ، فى المال ، والجاه والاستطاعة والطاقات البشرية المتفاوتة .

• وقد صرح القرآن بمسئولية العقل فى الانسان عن تصرفات الانسان فى قوله : « ولا تقف ماليس لك به علم (أى لا تتبع مالا تعلم ولا يعنيك) . ان السمع ، والبصر والفؤاد ، كل أولئك كان عنه مسئولا » (الاسراء : ٣٦) .. فمنافذ الادراك لدى الانسان هى : سمعه وبصره ، بالاضافة إلى ما يهدى هذا الادراك إلى الصواب ، وهو ايمان القلب .

ARCHIVE
http://archivebeta.sakhrit.com



دائرة المعارف القرآنية

بقلم : الدكتور محمد البهي

المثل في القرآن

المثل في القرآن : هو وصف في مضمونه ، يقصد به التوضيح : « وله المثل الأعلى في السموات والأرض ، وهو العزيز الحكيم » (الروم : ٣٧) .. أي لله جل شأنه الوصف الكامل في الوجود كله : في السموات والأرض .

● وقد يكون التوضيح عن طريق المثل ـ كوصف في المعنى ـ ناشئاً عن « شاهد » مما يجري في الحياة الانسانية على هذه الأرض . نقرأ قول الله تعالى : « مثلهم (أي مثل المنافقين) كمثل الذي استوقد ناراً (أي أوقد وأشعل ناراً) فلما أضاءت ما حوله .. ذهب الله بنورهم ، وتركهم في ظلمات لا يبصرون » (البقرة : ١٧) فإذ يجعل القرآن المنافقين : في ايمانهم أولاً ، ثم في عدولهم عن الايمان بعد ذلك ، نظراء من أشعل النار فأضاء ما حوله ، ثم لم يلبث أن أطفأها وعاد بنفسه إلى الظلام لا يبصر شيئاً .. إنما يصفهم في حقيقة الأمر : بالحيرة بعد الهداية ، وبالضلال بعد الرشد .

ونقرأ كذلك قول الله تعالى في وصف من أعرض عن الايمان بعد أن بلغته رسالته واتبع ماديات الحياة وحدها : « واتل عليهم نبأ الذي آتيناه آياتنا فانسلخ منها (أي فلم يتبع هدايتها) فأتبعه الشيطان فكان من الغاوين . ولو شئنا لرفعناه بها (أي ولو أراد الله هدايته عن طريق آياته ـ وهي قرآنه ـ ورفعه بهذه الهداية إلى المستوى الخالص في الانسانية .. لوفقه إلى اتباعها) ولكنه أخلد إلى الأرض (أي ولكن بدلاً من أن يتبع هداية الله في كتابه وآياته .. مال وانجذب إلى الأرض والميل إلى الأرض والانجذاب إليها كناية عن الرضاء بماديات الحياة وعن الاستغراق فيها وحدها) واتبع هواه (وبميله إلى الاستغراق في ماديات الحياة وحدها .. اتبع هواه ولم يستطع السيطرة عليه) فمثله كمثل الكلب : إن تحمل عليه (أي تضطهده) يلهث (أي يظهر القلق وعدم الرضاء) أو تتركه (أي بدون اضطهاد وتتبع) يلهث (أي يظهر القلق وعدم الرضاء كذلك) » (الأعراف : ١٧٥ ؛ ١٧٦) .. فتنظير من اتبع هواه من الناس وانجذب إلى ماديات الحياة وحدها : بالكلب في قلقه وعدم رضاه على أية حال .. هو وصف للمتبع هواه في واقع أمره بالقلق الدائم في حياته : إن في حال حصوله على ماديات الحياة فهو قلق عليها خشية ضياعها ، وإن في حال عدم حصوله عليها فهو قلق بسبب تلهفه ورغبته فيها .

وكذلك إذا وقفنا عند قول القرآن الكريم : « واضرب لهم مثل الحياة الدنيا : كماء أنزلناه من السماء فاختلط به نبات الأرض (أي فتشابك بسبب الماء .. النبات واختلط بعضه ببعض لفرط نموه) فأصبح هشيماً تذروه الرياح (أي ثم بعد نموه وازدهاره وكثافته في اتصال عيدانه بعضها ببعض .. أصبح هشاً بعد أن جفت عيدانه وخف وزنها ، تطير به الرياح من مكانه إلى أي مكان آخر) » (الكهف : ٤٥) . إذا وقفنا عند هذا القول نرى أن هذا المثل في الآية يصل في وصف الحياة الدنيا بأن ازدهارها هو ازدهار مؤقت ، يعقبه حتماً : فناء لها .. وإلى أن المتعة بها كذلك هي متعة موقوتة وخادعة ، لا تلبث أن تزول كأن لم تغن بالأمس ..

وقد يكون الوصف الذي يقصد من المثل هو لتوضيح ادعاء ، لا يقوم عليه دليل في نفس الأمر . كادعاءات المعارضين لرسالة القرآن من المشركين الماديين . فإذ نقرأ قوله تعالى في كشف كذب المعارضين من هؤلاء : « وجعلوا له من عباده جزءا (أي نسبوا إلى الله فريقاً مما خلق ـ وهم الملائكة ـ على أنها بنات له ، سبحانه) إن الانسان لكفور (أي إن شأن الطبيعة البشرية هو الكفر ، لو تركت من غير ايمان وتوجيه) أم اتخذ مما يخلق بنات ، وأصفاكم بالبنين ؟ . وإذا بشر أحدهم بما ضرب الرحمن مثلاً ظل وجهه مسوداً وهو كظيم (أي أنه سبحانه وتعالى لم يتخذ بنات مما خلقه وخصكم أنتم أيها المشركون الماديون بالذكور من هذا الخلق . وكيف تنسبون إلى الله البنات وأنتم إذا أخبر أحدكم بمولود هو أنثى كره الحياة ونفر منها إلى أن يتخلص نهائياً مما ولد له ؟ إنه تناقض : إن ترضوا لله ما لا ترضونه لأنفسكم ، فكيف يكون رباً وخالقاً لكم ، وهو في اعتباركم عندئذ أقل شأناً منكم ؟) (الزخرف : ١٥ ـ ١٧) .. إذ نقرأ هذه الآيات الثلاث نرى : إن الوصف عن طريق المثل الذي يرد على لسان المعارضين للقرآن ـ وهو تنظير الله جل شأنه بالانسان في نسبة الولد إليه وعلى الخصوص : الأنثى ـ يستهدف توضيح ادعاء من جانب هؤلاء المعارضين ، لا يثبت صدقه في واقع الأمر . لأن مقتضى كون الله رباً في نظرهم ـ إذ أنهم لا ينكرون ربوبيته ، وإنما فقط يشركون غيره معه فيها ـ أن لا يكون أقل شأناً من أي واحد منهم . فإن هم لم يرضوا أن يبشروا بأنثى لهم ، فكيف ينسبون الملائكة له على أنها بناته ؟

وعلى هذا النحو قوله تعالى في شأن القرآن : « وقال الذين كفروا : لولا نزل عليه القرآن جملة واحدة (أي هلا نزل عليه دفعة واحدة ، ولم ينزل تباعاً ومنجماً) كذلك لنثبت به فؤادك ورتلناه ترتيلا . (أي ولكن هكذا : نزلناه منجماً وعلى مهل .. لتطمئن به نفسك) ، ولا يأتونك بمثل (أي لا يأتون بوصف يستهدفون به توضيحاً لادعاء كاذب) إلا جئناك بالحق وأحسن تفسيرا (أي إلا أوضحنا كذبه ووضعنا ما ينبغي أن يكون ويتحقق موضعه) » (الفرقان : ٣٢ ، ٣٣) . ومن أجل استهداف المعارضين للقرآن من : « المثل » توضيح : ادعاء كاذب في حقيقته . قطع القرآن عليهم السبيل إلى ذلك ، بأن كشف في جملة واحدة .. غايتهم من هذه الأمثال . ولذلك واجههم بالنهي عنها في صورة عامة ، فقال : « فلا تضربوا لله الأمثال ، إن الله يعلم وأنتم لا تعلمون » (النحل : ٧٤) .. وكأنه قيل لهم : كفوا عن ضربكم الأمثال فقد بان كذبكم وتهافتكم فيها .

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com



دائرة المعارف القرآنية

بقلم : الدكتور محمد البهي

الكتاب المصدّق

• يقول الله تعالى في سورة الأحقاف :

« ومن قبله كتاب موسى إماما ورحمة وهذا كتاب مصدق ، لسانا عربيا ، لينذر الذين ظلموا ، وبشرى للمحسنين » الأحقاف : ١٢)

• يذكر القرآن في بيان حجتيه ، وأنه من عند الله ، بأن سبقه كتاب موسى عليه السلام ــ وهو التوراة ــ كشريعة ورحمة للمؤمنين ، أرسل به من قبل ربه . وما جاء في القرآن هو على نحو ما في كتاب موسى . فهو شريعة كذلك ، ورحمة للمؤمنين به . ولذا فهو مصدق له ، ولكنه بلسان عربي .

وكتاب موسى كان معروفا وسبق الايمان به . فإذا كان القرآن مساويا لما نزل فيه فليست هنا موانع تقف في طريق الإيمان به كذلك ، إلا إذا كانت موانع من : حرص على جاه أو زعامة ، أو من تأثر بتقاليد . وهذه موانع خارجة عن موضوعه .

وتوافق القرآن مع التوراة في تفصيل رسالة الله ، كنظام لحياة الانسان ومنهج يسير عليه الانسان في سلوكه وفي علاقته بالآخرين ، إن كان حجة لصحة نزول القرآن والوحى به ، كما تهدف الآية ، فلا ينبغي أن يتخذ سبيلا ــ كما يروجه كثير من المستشرقين ــ لادعاء : أنه لهذا التوافق : من تأليف الرسول محمد عليه الصلاة والسلام ، تأثر فيه بما لليهود من كتاب . إذ أن القرآن في الوقت الذي يؤيد فيه ما نزل في التوراة ، رسالة موسى ، يكشف أيضا عما اختلف اليهود فيه من هذه الرسالة بما أضافوه ، أو حرفوه ، أو أولوه من أقوالها : « إن هذا القرآن يقص على بنى اسرائيل أكثر الذي هم فيه يختلفون » (النمل : ٧٦) . وهو لهذا معيار لرسالة الله في ذاتها .

ولو أنه كان مؤلفا خاصا للرسول عليه الصلاة والسلام ــ كما يروجه هؤلاء المستشرقون ــ متأثرا فيه بما لليهود من دين ، لما كان فاصلا بين الحق في ذاته ، وهو ما في التوراة كرسالة الله على عهدى موسى .. وباطل بنى اسرائيل ، وهو ما أضافوه ، أو حرفوه ، أو أولوه واختلفوا فيه عن هذه الرسالة .

وكون القرآن مصدقا لكتاب موسى ، ثم حاكيا لما اختلف فيه بنو اسرائيل ، دليل صدقه هو فيما جاء به من عند الله . إذ كيف يتسنى للرسول عليه الصلاة والسلام ــ كمؤلف للقرآن ، حسب إدعاء هؤلاء المستشرقين ، وإدعاء السابقين من أهل الكتاب ــ أن يفصل في تراث اليهود الديني بين ما هو من قبل الله جاء به موسى ، وما صنعوه هم : إمالة برسالة الله إلى تمييز عنصرى لهم ، أو إلى تبرير مواقفهم من الأنبياء بعد موسى ، أو مواقف كبرائهم من ضعفائهم : في إخراج بعضهم بعضا من ديارهم وحل سفك الدماء في سبيل الابقاء على زعامات خاصة ؟

• ومهمة القرآن ــ بعد كونه مصدقا لما سبقه من كتاب ــ هي مهمة الرسالة الالهية في كل عهد : أن ينذر به الرسول صلى الله عليه وسلم : الظالمين لأنفسهم برفضهم قبوله ، ويبشر به المحسنين لأنفسهم وفي سلوكهم الانساني على العموم الذي آمنوا به .. ينذر الظالمين بسوء جزائهم في الدنيا والآخرة . ويبشر المحسنين المؤمنين بحسن جزائهم في الدارين معا ، كذلك .

فالظالمون الذين يعارضون قبول الإيمان بالقرآن هم أولئكم الذين وقعوا ــ أو يقعون ــ تحت طغيان « المادية » في حياتهم . ويخشون بالإيمان به فوات جاه مادى ، هو جاه الزعامة والرياسة ، أو فوات متعة مادية ، هي متعة ترفهم على حساب حرمان الضعفاء فيهم وشقائهم . فالقرآن : كل دعوته تتمثل في العدل في المبادلة والمعاملة ، وفي الاحسان في الاعطاء أكثر من الأخذ . والعدل يشكل موازنة لاغبن فيها . والاحسان يعطى الدليل على انسانية المحسن في سلوكه مع الآخرين . وفي قبول دعوة القرآن تنازل عن الرياسات والزعامات التي تحصل لأصحاب الرياسة والزعامة : متعا مادية وترفا ماديا ، على حساب الآخرين .

وقد جاء في العهد الذي أخذه الله على بنى اسرائيل ، أن طلب إليهم أن يستعينوا بالصبر والصلاة ، فيما تذكره الآية :

« واستعينوا بالصبر والصلاة ، وإنها لكبيرة إلا على الخاشعين . الذين يظنون أنهم ملاقوا ربهم ، وأنهم إليه راجعون» (البقرة : ٤٥ ، ٤٦) .. طلب إليهم أن يستعينوا بالصبر في عودتهم إلى الإيمان . لأن انتقالهم من وضعهم المادى في الرياسة والمبالغة في الاستمتاع بالمتع المادية .. إلى الايمان بالاعتدال في الاستمتاع بالدنيا وزينتها وعدم الاسراف في طيباتها ــ وهو نتيجة الإيمان بالله ــ ليس من السهل أن تتحمله النفس البشرية العادية . ولذا لابد من فضيلة الصبر على ذلك .. كما طلب إليهم ــ في هذه الآية كذلك ــ أن يستعينوا بالصلاة في هذا الانتقال ، لما في الصلاة من اتصال مباشر بالله ، وبعد عن طغيان المادية .

وفي الوقت الذي يطلب القرآن إليهم الاستعانة بالصلاة .. يحكم على : أنها لكبيرة ، وعظيمة شاقة بالنسبة لأصحاب الرياسات ، لأنها دليل التحول بالفعل من المادية إلى الروحية . وهذا أمر يشق عليهم . أما الخاشعون الضعفاء فيهم ، الذين لا تسيطر المادية عليهم فلا ينكرون اليوم الآخر ، ويظنون أنهم مع ذلك ملاقوا ربهم ، فلا تكبر عليهم الصلاة ولا تشق عليهم . إذ تحولهم من وضعهم السابق . إلى الوضع الجديد في الإيمان بالله ، أيسر من تحول المستكبرين فيهم . لأنهم قد لا يخسرون ماديا شيئا وان هم خسروا شيئا ، فقليل ما يخسرون .

فهؤلاء الظالمون يكون القرآن انذاراً لهم بسقوط مجتمعاتهم ، أو بالانتقام منهم عن طريق الحاقدين عليهم فيها ، ثم بعقاب الله لهم في آخرتهم . ومن أجل هذا الجزاء الأليم في دنياهم ، وفي آخرتهم .. يتضح ظلمهم لأنفسهم .

أما المحسنون فالقرآن بشرى لهم ، بأنه لا خوف عليهم ولا هم يحزنون في دنياهم وفي آخرتهم على السواء . لأنهم لم يصنعوا سوءاً ، يضمر لهم غيرهم العداء بسببه في دنياهم . ثم يجازيهم الله عليه في لقائهم معه في الآخرة جلت قدرته ، لأنهم أحسنوا أي أعطوا أكثر مما أخذوا . وبذلك كانوا يؤثرون غيرهم على أنفسهم . فلهم حسن السمعة في الدنيا ، ورضاء الله في الآخرة .



بقلم : الدكتور محمد البهي

البَيِّنَة

• يعبر القرآن الكريم باسم : البينة .. في آياته عن : الحجة ، والدليل والأمارة التي يحملها الرسول ــ أي رسول ــ عليه الصلاة والسلام ، إلى الناس وبعضها موضع الاختبار في الإيمان والكفر بالله .

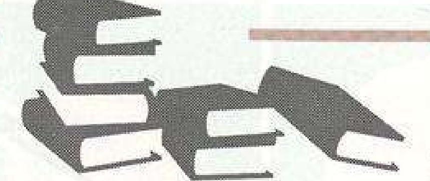
فهو يقص قصة صالح إلى ثمود ، وما يحمله من أمارة الرسالة ، ويكون تقبل هذه الأمارة علامة الإيمان بالله ، بينما رفضها يكون دليلاً على الكفر به ، في قول الله تعالى : « وإلى ثمود أخاهم صالحاً ، قال : يا قوم اعبدوا الله مالكم من إله غيره ــ قد جاءتكم بينة من ربكم (أي حملت لكم حجة وامارة على الرسالة من عند الله) . هذه ناقة الله لكم آية ، فذروها تأكل في أرض الله ، ولا تمسوها بسوء فيأخذكم عذاب أليم » (الأعراف : ٧٣) .. فالحجة التي أرسل بها صالح إلى ثمود من عند الله ، وتعتبر آية صدقه على الرسالة ــ وفي الوقت نفسه تعتبر مجالاً لاختبار الإيمان والكفر في قومه ــ هي : الناقة التي صحبها معه ، وطلب من قومه أن تأخذ قسطها في الرعي في المراعي والشرب من الآبار ، أسوة بأنعام الأغنياء وأرباب السطوة في ثمود ، الذين احتجزوا الرعي في الكلأ ، والشرب في الآبار العامة لإبلهم وحدهم ، دون الفقراء والضعفاء . فإن تركوا ناقة صالح تفعل كما تفعل إبلهم كانوا عندئذ مؤمنين برسالة الله ، وهي رسالة : العدل والمساواة في الحقوق بين الناس جميعاً : لا فرق بين كبير وصغير ، وبين قوي وضعيف ، وإن هم منعوها من قسطها في الرعي والشرب كانوا كافرين بالرسالة الالهية ، وبقوا على عتوهم واستكبارهم في الأرض ، واستحقوا من أجل ذلك .. عقاب الله . فناقة صالح هي بينة وحجة .. وهي دليل الإيمان والكفر .. وبها يعرف المؤمن بالله من الكافر في ثمود .

.. ويقص أيضاً قصة شعيب إلى أهل مدين على الجانب الشرقي من خليج العقبة وما أتى به من أمارة الرسالة ودليل الإيمان والكفر بالله ، فيقول : « وإلى مدين أخاهم : شعيباً ، قال يا قوم : اعبدوا الله ، مالكم من إله غيره ، قد جاءتكم بينة من ربكم (أي حجة ، وأمارة ، وشاهد على الإيمان والكفر) : فأوفوا الكيل والميزان ، ولا تبخسوا الناس أشياءهم ، ولا تفسدوا الأرض بعد اصلاحها ، ذلكم خير لكم إن كنتم مؤمنين » (الأعراف : ٨٥) .. فبينة شعيب وحجته إلى قومه في أهل مدين : كانت طلب الوفاء في المعاملات التجارية .. طلب العدل وعدم بخس الناس أشياءهم في الكيل والميزان فيما يتقوتون به .. كانت طلب الكف عن العبث والفساد في استغلالها المال وانتهاز حاجة المحتاجين من الناس . فإن قبلت هذه الحجة وهذا الدليل على رسالة شعيب من أهل مدين كانوا مؤمنين به وبرسالته . وهذه البينة أو هذه الحجة مجال الاختبار في الإيمان والكفر بالله ، لأن الاستغلال السيىء والضار للمال كان ظاهرة تسود مجتمع مدين ، وهو مجتمع تجاري كان يتعامل بالخصوص في الحبوب المستوردة من مصر ، ويختلف بذلك عن مجتمع ثمود الذي كان مجتمعاً زراعياً يعيش على تربية الحيوان . والضرر الذي كان شائعاً في مجتمع ثمود هو الضرر الناشيء عن احتكار الزعماء والأقوياء فيه للمراعي العامة والآبار العامة للمياه لما يملكون وحدهم من أنعام ، دون بقية الناس ، وهم سوادهم وكثرتهم من الفقراء والضعفاء .

.. ويقص كذلك قصة موسى مع فرعون وزملائه عندما جاءه ببينة من ربه ، ويشير القرآن إليها على سبيل الإجمال في قول الله تعالى : « وقال موسى يا فرعون : إني رسول من رب العالمين . حقيق على أن لا أقول على الله إلا الحق ، قد جئتكم ببينة من ربكم (أي بحجة ودليل ومخبر على الايمان والكفر بالله) ، فأرسل معي بني اسرائيل » (الأعراف : ١٠٥) .. وهنا أيضاً تختلف بينة موسى عن بينة صالح في ثمود ، وبينة شعيب في أهل مدين . لأن الظلم الشائع في مجتمع فرعون وكبرائه وأعوانه لم يكن ظلماً ناشئاً عن اقطاع في المراعي وآبار المياه ، ولا ناشئاً عن استغلال سيىء لرأس المال ، بل كان ناشئاً عن استعباد وإذلال لقوم هاجروا إلى مصر ودخلوا على أهلها ، وشاركوهم في مجال الزراعة والتجارة ، واستقروا معهم عدة قرون على هذا النحو ، وهم قوم بني اسرائيل أي أولاد يعقوب من اليهود . أي كان قائماً على التفرقة العنصرية وكانت من أجل ذلك بينة موسى إلى فرعون هي ، طلب فك الحصار عنهم ، والإذن لهم بمغادرة مصر والعودة إلى مكانهم الذي هاجروا منه من قبل .. أي كانت بينة العمل على تحقيق الحرية السياسية .

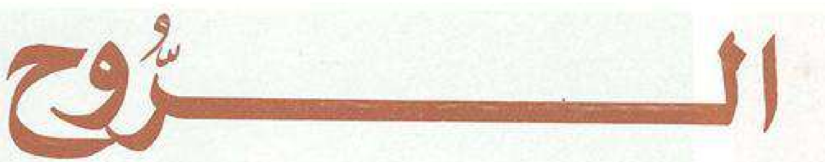
وعن بينة الرسول محمد عليه الصلاة والسلام يقول سبحانه : وهذا كتاب ــ أنزلناه ــ مبارك فاتبعوه واتقوا لعلكم ترحمون . أن تقولوا (أيها المشركون) انما أنزل الكتاب على طائفتين من قبلنا (ويقصد بهما : اليهود والنصارى) وإن كنا عن دراستهم لغافلين أو تقولوا : لو أنزل علينا الكتاب (أي بدلاً من اليهود والنصارى من قبل) لكنا أهدى منهم فقد جاءكم بينة من ربكم (أي حجة وأمارة على الرسالة ، ومجال اختبار للإيمان والكفر بالله ــ ويقصد بها القرآن) وهدى ورحمة (أي ومع كون القرآن بينة على الرسالة فهو في الوقت نفسه كتاب للسلوك المستقيم والعقيدة الصحيحة ، ورحمة في الدنيا والآخرة لمن يؤمن به . (الأنعام : ١٥٥ ــ ١٥٧) .. وكانت بينة الرسول عليه الصلاة والسلام وحجته في الرسالة ، ودليله على الإيمان والكفر .. تختلف عن سنة الرسل الآخرين قبله . ولأن الظاهرة التي كانت تسيطر على مجتمع مكة ومجتمع العرب بصفة عامة كانت ظاهرة الأسلوب والقول في فصاحته وبيانه ، ولذا كان أسلوب القرآن هو مجال الاختبار في الإيمان والكفر لدى العرب عند بعثته عليه السلام .

والبينة إذا كانت حجة الرسول ــ أي رسول ــ في رسالته .. فهي المدخل في الوقت نفسه للإيمان بمضمون الرسالة كلها : وبالأخص إذا كانت رسالة عقيدة ، وشريعة معاً ، كما : في القرآن ، والتوراة قبله « فقد جاءكم بينة من ربكم ، وهدى ، ورحمة » .. يعبر القرآن عن رسالته ..



دائرة المعارف القرآنية

بقلم : الدكتور محمد البهي



الروح

• يرى بعض المفسرين أن كلمة « الروح » ترد فى بعض آيات القرآن الكريم بمعنى : « النفس » أو القوة الخفية فى الانسان ، التى تقابل البدن ، ويعطى هذا البعض من المفسرين .. المثل على ذلك : فيما جاء فى سورة الاسراء فى قول الله تعالى : « ويسألونك عن الروح قل الروح من أمر ربى وما أوتيتم من العلم إلا قليلا (الاسراء : ٨٥) .

ولكن اذا استعرضنا مفهوم : « الروح » فى آيات الذكر الحكيم .. نرى أنه لا يعطى هذا المعنى الذى ذهب إليه بعض المفسرين من أنه : القوة الخفية فى الانسان والمدبرة لبدنه ، لأنه معنى جاء به الفكر الاغريقى وعرف استعماله بين المسلمين ، بعد القرن الثالث الهجرى . وإنما يعطى هذا المفهوم – الروح – فى الكثير الغالب .. معنى : الوحى . أو معنى : الملك الخاص الذى أرسل بالوحى ، وهو : جبريل .

• ففى الآية السابقة : « ويسألونك عن الروح .. » .. يراد بالروح : الوحى . إذ بقية هذه الآية ، وكذلك مابعدها من آيات ثلاث ، تفيد : أن الروح هنا هى وحى الله بالقرآن الكريم ، نقرأ – لتوضيح ذلك – قوله تعالى : « ... قل : الروح من أمر ربى ، وما أوتيتم من العلم إلا قليلا . ولئن شئنا لنذهبن بالذى أوحينا اليك ، ثم لاتجد لك به علينا وكيلا (أى لاتجد لك من يقوم وكيلا ونائبا عنا فى شأن الوحى واستعادته بعد أن نذهب به ونمحوه) ، إلا رحمة من ربك ، إن فضله (أى بالوحى بالقرآن اليك وتثبيته فى نفسك) كان عليك كبيرا . قل : لئن اجتمعت الانس والجن (أى القوى الظاهرية والمرئية ، والأخرى الخفية التى لاتعرف فى الوجود) على أن يأتوا بمثل هذا القرآن لايأتون بمثله ، ولو كان بعضهم لبعض ظهيرا (أى سندا وساعدا) ... » (الاسراء : ٨٥ – ٨٨) .

فالتنصيص على أن الروح من أمر الله ، واقتران ذلك بالحديث عن علم الانسان وأنه قليل بالقياس الى علم الله ، ومصاحبة هذا وذاك : لذكر فضل الله بالوحى على رسوله صلى الله عليه وسلم ، وإعلان تحدى كل القوى فى الوجود فى أن تأتي بمثل القرآن الموحى به ، مهما تساندت واشتركت متعاونة فيما بين بعضها بعضا ، هذا كله يرجح فى وضوح : أن المعنى بالروح هنا ، هو : الوحى بالقرآن الكريم .

ونظير ذلك قوله تعالى : « ينزل الملائكة بالروح من أمره (أى بالوحى) على من يشاء من عباده : أن أنذروا أنه لا إله إلا أنا فاتقون . خلق السموات والأرض بالحق تعالى عما يشركون » (النحل : ٢ ، ٣) . وقوله : « ذلكم بأنه إذا دعي الله وحده كفرتم (يخاطب المشركين الماديين فى يوم الجزاء) وإن يشرك به تؤمنوا فالحكم لله العلى الكبير . هو الذى يريكم آياته ، وينزل لكم من السماء رزقا ، وما يتذكر إلا من ينيب . فادعوا الله مخلصين له الدين ولو كره الكافرون ، رفيع الدرجات ، ذو العرش ، يلقي الروح من أمره (أى يلقى الوحى وينزله) على من يشاء من عباده لينذر يوم التلاق ... » (غافر : ١٢ – ١٥) وقوله : « وآتينا عيسى بن مريم البينات (أى الآيات والأمارات الدالة على رسالته) وأيدناه بروح القدس (أى بالوحى بالانجيل) ... » (البقرة : ٨٧) .

• وتأتي « الروح » أيضا بمعنى : الملك . ويقصد به جبريل عليه السلام . على نحو ماورد فى قول الله تعالى : « نزل به الروح الأمين (أى الملك جبريل) على قلبك لتكون من المنذرين . بلسان عربى مبين » (الشعراء : ١٩٣ – ١٩٥) .

وفى قوله : « يوم يقوم الروح (أى جبريل) والملائكة صفا ، لا يتكلمون إلا من أذن له الرحمن وقال : صوابا . ذلك اليوم الحق ، فمن شاء اتخذ الى ربه مآبا » .. (النبأ : ٣٨ – ٣٩) . وفى قوله : « إنا أنزلناه فى ليلة القدر (أى أنزلنا القرآن) . وماأدراك ماليلة القدر؟ ليلة القدر خير من ألف شهر . تنزل الملائكة والروح (أى جبريل) فيها بإذن ربهم من كل أمر (القدر : ١ – ٤) ... » وفى قوله « فاتخذت (أى مريم) من دونهم حجابا فأرسلنا إليها روحنا (أى جبريل) فتمثل لها بشرا سويا . قالت : إنى أعوذ بالرحمن منك ، إن كنت تقيا (أى متخفيا) قال إنما أنا رسول ربك ، لأهب لك غلاما زكيا (يعنى به عيسى عليه السلام) ... » (مريم : ١٧ – ١٩) .

... وهكذا يتردد معنى : « الروح » فى آيات القرآن الكريم بين : الوحى بالكتاب ، وملك الوحى ورسوله ، وهو جبريل ، إذ الحديث عن الروح بمعنى النفس أو القوة المدبرة للبدن لا شأن له بالهداية الإلهية حتى يكون من تعاليم القرآن . إنما هو من شأن الانسان عندما يفتش فى ذاته ، ويختلف فى تحديد عناصر الذات ، حسب ثقافته ومدى إدراكه .

بقلم : الدكتور محمد البهي

مشيئة الإنسان

يقول الله تعالى فى شأن طبيعة الانسان : « إنَّا خلقنا الانسان من نطفة أمشاج (أى من نطفة مختلطة من الذكورة والأنوثة) .. نبتليه (أى والغاية من خلقه هى : ابتلاؤه واختباره فى اتجاهه فى السلوك ، والاعتقاد ، والعمل) فجعلناه سميعا بصيرا (ولكى يمكن من أن يحقق هذه الغاية فيه ، جُعِلَ كائنا مُدرِكا عن طريق حواسه ، وبالأخص حاستى السمع والبصر) . إنَّا هديناه السبيل (أي ولكى يساعد على استخدام إدراكه وعقله استخداما سليما كانت هداية الله فى رسالة الرسل) إمَّا شاكرا ، وإمَّا كفورا (وهو بعد إعداده بالعقل والادراك ، وبعد مساعدته بالهداية الالهية ، له المشيئة فى الايمان بالله تعبيرا عن شكره ، كما أن المشيئة فى الكفر به تعبير عن نكران فضل الله ونعمته عليه » (الانسان : ٢ ، ٣) .. فهاتان الآيتان تتحدثان عن ثلاث حقائق فى الطبيعة البشرية :

الأولى : إنها طبيعة مختلطة مما للذكورة والأنوثة ، وهى حقيقة مادية نوعية ،

والثانية : إنها طبيعة معدة بالادراك العقلى ، ومزودة بسبيل الرشد الانسانى فى اتخاذ المواقف المختلفة التى تعبر عن تميز الانسان دائما فى سيادته فى هذه الأرض وتفوقه على الكائنات الأخرى عليها ، وهى حقيقة عقلية أو معنوية ،

والثالثة : إنه أضيف الى سبيل الرشد الطبيعى فيه ــ وهو العقل ــ نوع آخر من الهداية تتضمنه رسالة الله ، وهى حقيقة إلهية .

ويصور الحقيقة العقلية فى الانسان ومنزلتها فى اتقاء الأخطاء ، قوله تعالى فى سورة الأعراف فى مواجهة بنى آدم جميعا : « يابنى آدم قد أنزلنا عليكم لباسا يواري سوءاتكم وريشاً (ويقصد باللباس : العقل فى ستر نقائص الانسان بابعاده عن الزلل والأخطاء ، فهو زينة فى الوقت نفسه .. كريش يتزين به الانسان . لأنه طالما أنه من شأنه أن يقلل من أخطاء الانسان .. فإنه من غير شك يظهر الانسان فى صورة جميلة مقبولة) ولباس التقوى ذلك خير (أي وهذا العقل فى الانسان الذى يتقى به الأخطاء ما أمكن ، وهو أشبه باللباس فى الستر .. هو خير من عند الله ونعمة من نعمه الكبرى) ذلك من آيات الله لعلهم يذكرون (وهو لهذا : نعمة من نعم الله على بنى آدم . ويرجى منهم لذلك : أن يتذكروا هذه النعمة باستخدامها فى وضعها الصحيح ، وعدم تعطيلها بالوقوع تحت تأثير الاتجاهات المادية التى تحيل مستوى الانسان الى مستوى مادى بحت ، وتعزله عن العقل وحكمته فيه ، كما تعزله عن هداية الله وارشاده فى رسالته (الأعراف : ٢٦) .

وهداية الله فى رسالته إذن لا تقف من الانسان موقف الالزام والاكراه وانما تقف منه موقف المساعد فقط عند طلب المعاونة . وهذا هو ما تسجله الآية الثالثة السابقة فى سورة الانسان : « إنَّا هديناه السبيل ، إمَّا شاكرا ، وإمَّا كفورا » . فوضع الانسان هنا إزاء هداية الله هو : وضع المختار بين الايمان والكفر بها .. هو وضع صاحب المشيئة .. هو وضع البعد عن الاكراه والالزام . ويؤيد هذا الوضع قوله تعالى : « لا إكراه فى الدين » .

وهنا تبدو صلة الله بالانسان ، كما تبدو صلة الانسان فى الايمان والكفر ، وفى العمل الصالح ، والسيىء ، وفى استقامة السبيل فى الحياة ، وارتكاب الجرائم والمعاصى فيها . فالانسان صاحب مشيئة مبدئية فى ذلك كله . وهداية الله للانسان هى : فى توفيقه الى الأخذ برسالته .. هى فى مساعدته بالميل الى الانتفاع بها .. هى فى إرسال الرسول بهذه الهداية : « قل : إن ضللت فإنما أضل على نفسى ، وإن اهتديت فبما يوحى الىَّ ربى » (سبأ : ٥٠) .. « وقل : الحق من ربكم ، فمن شاء فليؤمن ، ومن شاء فليكفر » (الكهف : ١٩) .

وعندما اقترف آدم وزوجه حواء معصيتهما فى الجنة اعترفا : بأنهما هما باشراها من أنفسهما : « قالا : ربنا ظلمنا أنفسنا » (الأعراف : ٢٣) .. واعتبر سلوكهما معصية لأنهما خالفا فيه أمر الله فقط ، ولكنه لم يخرج عن كونه باختيارهما : « ويا آدم : أسكن أنت وزوجك الجنة ، فكلا من حيث شئتما ، ولا تقربا هذه الشجرة فتكونا من الظالمين (أى لنفسيكما) » (الأعراف : ١٩) .

والغاية من عقل الانسان التى تكمن فى الابتلاء والاختبار ، تتحقق بالابتلاء بالخير والنعمة ، والشر والحرمان على السواء : « ونبلوكم بالشر والخير فتنة » (الأنبياء : ٣٥) .. « إنا جعلنا ما على الأرض زينة لها لنبلوهم : أيُّهم أحسن عملا » (الكهف : ٧) .. « ولنبلونكم بشيء من الخوف والجوع ، ونقص من الأموال والأنفس والثمرات » .. (البقرة : ١٥٥) .. ومعنى ابتلاء الانسان واختياره : أن يوضع أمام متع الدنيا مرة ، وأمام الحرمان منها مرة أخرى . ليعرف مدى قدرته على ضبط نفسه : هل سينجرف فى تيار الترف والعبث بالمتع المادية إن واتته ، وهل سيضيق ذرعا بالحياة وتتملكه روح اليأس عندما يحرم منها ؟ ونداء عقله فى الحالين ، هو : الصبر وضبط النفس ، وهو نفسه رسالة الله للانسان لأن أيا من الأمرين ــ اليسر ، والعسر ــ لا يدوم ، وإنما التعاقب بينهما هو قانون الحياة . والباقى للانسان أبدا : هو محافظته على مستوى إنسانيته ، باتباع عقله ، وهداية الله وهي تساوق العقل فى طريقه الصحيح .

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com



بقلم : الدكتور محمد البهي

كسب الإنسان

يسند القرآن الكسب إلى الانسان . وهو كسب مال ، أو قوة ، أو كسب عمل سيء أو صالح . ففي جانب كسب المال يقول تعالى في سورة المسد كجزاء لأبي لهب « ما أغنى عنه ماله وما كسب (أى لم يجد نفعا له : ما كان يملك من رأس مال وما حصل عليه من أرباحه .. في وقايته من عذاب الله له في دنياه وفي آخرته » (المسد : ٢) .. ويقول : « يا أيها الذين آمنوا انفقوا من طيبات ما كسبتم ، ومما أخرجنا لكم من الأرض » (البقرة : ٢٦٧) .. فهو في الوقت الذى يضيف فيه عمل الله إلى المؤمنين وإلى نشاطهم : كسب المال ــ بجانب مساعدتهم على إنبات ما في الأرض ــ يحثهم على أن ينفقوا للمحرومين وأصحاب الحاجة من طيبات ما كسبوا ، ولا يقصدوا الخبيث منه والردىء ، فيخرجون منه .

وفي جانب كسب المال ، والقوة المادية يذكر القرآن قول الله تعالى : « أو لم يسيروا في الأرض فينظروا كيف كان عاقبة الذين من قبلهم ، كانوا أشد منهم قوة وأثاروا في الأرض ، وعمروها أكثر مما عمروها وجاءتهم رسلهم بالبينات فما كان الله ليظلمهم ولكن كانوا أنفسهم يظلمون » (الروم ٨) .. والقصد بكسبهم : ما أعدوا به أنفسهم من قوة العدد ، والعدة ، وقوة المال والبنيان والعمارة في الأرض ، وقوة السلطة والتمكن .

ويأتي الكسب بمعنى السعي في تحصيل العمل السيء ، أو في تحصيل العمل الصالح : « تلك أمة قد خلت (وهي أمه ابراهيم وبنيه) : لها ما كسبت ، ولكم ما كسبتم ، ولا تسألون عما كانوا يعملون » (البقرة : ١٣٤) .. أي كل أمة لها شأنها في مسئولية العمل الذى تأتي به . وكما أن كل فرد : له ــ أو عليه ــ نوع ما يحصله من عمل .. كذلك كل أمة وجماعة مسئولة عن كسبها الخاص في العمل . ثم يأتي ذلك المبدأ العام : « كل امرىء بما كسب رهين » (الطور : ٢١) .. ويأتي ما وجهه الرسول عليه السلام إلى أهله : « يابني هاشم : لا يأتيني الناس بأعمالهم وتأتوني بأنسابكم » .

فللانسان كسب ، وإرادة خاصة به مستقلة : في تحصيل المال .. أو في اعداد القوة .. أو في السلوك السيء ، أو في السلوك الحسن . وبسبب إرادته المستقلة في كسبه .. كانت مسئوليته الشخصية ، وكان جزاؤه بالسوء ، أو بالحسنى : على توجيه ما يكسبه في تحصيل المال .. أو في إعداد القوة .. أو في التمكن من السلطة ، إن في سبيل الخير أو سبيل الشر .. وكذلك على ما يكون عليه كسبه : أن يباشر عملا سيئا ، أو غير سيء .

والانسان ــ في نظر القرآن إذن ــ ليس سلبيا ، ولا متواكلا . والآية التى عبرت سابقا بقول الله تعالى : (يا أيها الذين آمنوا : انفقوا من طيبات ما كسبتم .. ومما أخرجنا لكم من الأرض » .. فميزت بين عمل الانسان .. وعمل الله : فاسندت إلى الانسان : كسبا .. وإلى الله إخراج ما في الأرض .. هذه الآية تحدد النظرة الواضحة إلى الانسان : على أنه ايجابي ، وعلى أنه صاحب مسئولية في العمل من أجل معيشته ورزقه .. وصاحب مسئولية كذلك : فيما يباشره من عمل سيء ، أو صالح .

وما جاء في بعض الآيات التى تجعل الله متكفلا برزق الانسان ، في مثل : « وما من دابة في الأرض إلا على الله رزقها » .. فإن الآية ذاتها تنطوى على عمل خاص بالانسان كذلك ، إذ الدابة ــ وهي كل ما يدب على الأرض ويتحرك فيها من مخلوقات الله ــ لا تستحق هذا الوصف ، بالدابة .. إلا إذا تحركت بالفعل . وليست حركتها إلا السعي أو العمل . وإلا لم تكن دابة ، بل كانت جمادا .

وما جاء في بعض الآيات الأخرى التى تنسب الضلال ، والهداية إلى الله : « يضل من يشاء ، ويهدى من يشاء » ... وبذلك يبدو الانسان مسلوب المشيئة نحو الايمان والكفر ، ونحو العمل السيء والعمل الصالح .. ماجاء على هذا النحو لا يرفع مسئولية الانسان ، ولا كسبه الارادى . فتدخل مشيئة الله في ايمان من يؤمن أو في كفر من يكفر : عن طريق رسالته التى يوحى بها إلى رسوله .

والانسان في قبولها أو في رفضها : حر ، وصاحب اختيار ومشيئة . وليست للرسول المرسل عليه ولاية الالزام بالهداية . وايمان من يؤمن : يرجع إلى تحكيم المنطق وعدم التأثر بجو البيئة ، وكفر من يكفر : يعود إلى المصالح الخاصة التى يفيدها بسبب كفره ..

دائرة المعارف القرآنية

بقلم : الدكتور محمد البهي

الإسلام دين الله

لكى نعرف ماهو دين الله نرجع الى الرسالة الإلهية الأولى على عهد ابراهيم عليه السلام . والقرآن الكريم يقص علينا دين ابراهيم الذى أمر باتباعه ، وتبليغه للناس ، فيما تذكره هذه الآيات الثلاث :

« ومن يرغب عن ملة ابراهيم الا من سفه نفسه ، ولقد اصطفيناه فى الدنيا ، وانه فى الآخرة لمن الصالحين . اذ قال له ربه أسلم قال : أسلمت لرب العالمين . ووصى بها (أى بملته) ابراهيم .. بنيه — ويعقوب — يابنى : ان الله اصطفى لكم الدين فلا تموتن الا وأنتم مسلمون . أم كنتم شهداء ، اذ حضر يعقوب الموت ، اذ قال لبنيه : ماتعبدون من بعدى ؟ قالوا : نعبد إلهك ، وإله آبائك ، ابراهيم ، واسماعيل ، واسحاق ، الهاً واحداً ، ونحن له مسلمون » (البقره ١٣٠ — ١٣٣)

فقد ذكرت هذه الآيات :

أولا : أن ابراهيم عليه الصلاة والسلام كان رسولا مصطفى ومختارا من الله . « ولقد اصطفيناه فى الدنيا » .

وثانيا : أن الدين الذى جاء به كان رسالة من الله وتعالى : « ان الله اصطفى لكم الدين .. » وأن هذه الرسالة لايميل عنها الا من انحرف عن جادة الحكمة : « ومن يرغب عن ملة ابراهيم الا من سفه نفسه » .

وثالثا : أنه طلب من أبنائه ان يسلموا ، وأن لايدركهم الموت الا وهم مسلمون : « فلا تموتن الا وأنتم مسلمون » .

ورابعا : أن يعقوب — بعده — سأل أبناءه بدوره عن نوع عبادتهم فأجابوه : بأنهم مسلمون . يعبدون إلهاً واحدا ، وهو ماكان يعبده ابراهيم ، واسماعيل واسحاق من قبل . فالاسلام كان رسالة ابراهيم ، ورسالة من بعده من الرسل من أبنائه ، واتباع اسماعيل واسحق ويعقوب .. كانوا أيضا على دين الاسلام .

وكذلك لكى نعرف : ماهو دين الله ، نرجع الى القرآن ذاته فى التعرف على دين الله على عهد الرسول محمد عليه الصلاة والسلام ، فنتلو هاتين الآيتين فى سورة آل عمران . والخطاب فيهما موجه اليه صلى الله عليه وسلم ، والى المؤمنين به :

« قل : آمنا بالله . وما أُنزل علينا ، وما أُنزل على ابراهيم ، واسماعيل ، واسحاق ، ويعقوب ، والأسباط (وهم من نسل يعقوب) ، وما أوتى موسى ، وعيسى ، والنبيون من ربهم . لانفرق بين أحد منهم ، ونحن له مسلمون . ومن يبتغ غير الاسلام دينا فلن يقبل منه وهو فى الآخرة من الخاسرين » (آل عمران : ٨٤ ، ٨٥)

فالقرآن هنا يأمر : أولا : بالايمان بالله ، وثانيا : بالايمان بما أنزل على محمد صلى الله عليه وسلم .. وبما كان من رسالة نزلت على ابراهيم — حتى عيسى عليهم السلام ، دون التفرقة بين أحد منهم . وثالثا : بأن هذه الرسالة هى : الاسلام ، وأن من يتبع غير الاسلام دينا فلن يقبل منه وهو فى الآخرة من الخاسرين . وأخيرا : أن المؤمنين بهذه الرسالة هم مسلمون .

والآن : ماهو مضمون الدعوة لدين الله ؟ أو ماهو مضمون دعوة الاسلام ؟

« قل : يا أيها الناس : ان كنتم فى شك من دينى فلا أعبد الذين تعبدون من دون الله ، ولكن أعبد الله الذى يتوفاكم ، وأُمرت أن أكون من المؤمنين . وأن أقم وجهك للدين حنيفاً ، ولاتكونن من المشركين . ولا تدع من دون الله مالا ينفعك ولا يضرك (اى فى واقع الأمر ، وعلى طول المدى) فان فعلت فانك إذاً من الظالمين . وان يمسسك الله بضر فلا كاشف له إلا هو ، وان يردك بخير فلاراد لفضله ، يصيب به من يشاء من عباده ، وهو الغفور الرحيم .

قل : يا أيها الناس : قد جاءكم الحق من ربكم ، فمن اهتدى فانما يهتدى لنفسه ، ومن ضل فانما يضل عليها ، وماأنا عليكم بوكيل » (يونس ١٠٤ — ١٠٨)

ففى هذه الآيات يتحدث القرآن عن مضمون الدعوة الى دين الله ، وهو الاسلام فى كل عهد من عهود الرسالة الإلهية ومضمونها هو : الايمان بالله وحده والنهى عن الشرك ، وعن الوثنية المادية : « وان أقمْ وجهك للدين حنيفاً ولا تكونن من المشركين » .

والنهى عن توجيه العبادة — وهى منتهى الاحترام والاجلال — الى مالا يملك فى واقع الأمر ضراً ولا نفعاً لأحد .. أى لما هو عاجز عن المحافظة على ذاته ، فضلا عن عجزه عن قدرة الاعطاء للآخرين : « ولا تدع من دون الله مالا ينفعك ولا يضرك » .

وعدم الإكراه والإلزام فى شأن الايمان بالله . اذ الايمان والكفر تعود نتائجهما على المؤمن ، او على الكافر وحدهما : « فمن اهتدى فإنّما يهتدي لنفسه ومن ضل فانما يضل عليها ، وما أنا عليكم بوكيل » .

وبهذا يكون : الاسلام : دين الله فى كل وقت ، ودين الله هو الوقوف بالعبادة والاحترام عند المولى سبحانه ، وصفاته هى التى تمثل القيم العليا فى حياة الانسان .

ودين الله أيضا عدم التجاوز بالعبادة والاحترام الى الموجودين الآخرين مع الانسان أيًّا كان نوعهم ، فهم أشباح تستمد ظل وجودها من غيرها . وأن دين الله لا اكراه فيه ، ولا ارهاب فى حمل الناس على طاعته . ودين الله — الذى هو الاسلام فى كل وقت — اذا كان يدعو فى جوهره الى قصر العبادة على الله وحده ، فانه يريد ان يحتفظ للانسان بكرامته . واذا كان لا إكراه فيه فانه يريد أن يحفظ عليه حريته ومشيئته . وهنا كان الاسلام : دين الله ودين الانسانية معا .

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com



بقلم : الدكتور محمد البهي

القناعة

لايمل الطفل توجيه السؤال لوالديه — وحتى الأجنبي عنهما — لحاجة أو لغير حاجة . فمن خصائص طفولته حب الذات ، أو الأنانية . والأنانية من شأنها أن تسعى الى اقتناء مايقع عليه النظر والى جمعه وتحصيله ولو كان مكرراً ، ولو لم تكن هناك حاجة تدفع الى تحصيله . وأنانية الطفولة من أجل ذلك : هي المصدر في كثير من الأحايين لبكائه أو لصياحه ، أو لاشتباكه مع أطفال آخرين معه يسعون كذلك الى الاقتناء والتملك في الدائرة التي يعيشون معاً فيها .

وظاهرة : الشره في التحصيل والاقتناء — بغض النظر عن الحاجة أو عدم الحاجة — التي تبدو واضحة في الطفولة ، تستمر كذلك بعد الطفولة ، ولكن في صورة مقنَّعة . ولا يضع لها حداً في تطور مراحل الانسان الا تكوين عادات أخرى عن طريق الدين والخشية من الله ، والتقرب إليه كذلك . وعبادتا الصوم والزكاة لهما دورهما الواضح في الحد من أنانية الإنسان ومن دفعه الى وعي « الوجود المشترك » بينه وبين غيره في مجتمعه وأمته . وعن هذا الوعي بالوجود المشترك لايخفف الإنسان من أنانيته ، بالإمساك عن « خطف » مابيد الغير فحسب — كما يفعل الطفل — وإنما يسلك سلوكاً آخر مقابلا لمسلك الأنانية ، وهو : أنه يعطي لغيره ، دون أن يأخذ بديلا عما يعطي .

و « الغضب » الذي يباشره الإنسان الذي تجاوز مرحلة الطفولة هو ظاهرة « لشره » الأنانية التي تبدو في سن الطفولة ، والتي بقيت رواسبها متمكنة في نفس الغاضب . لأن هذا الغاضب لم يُعَوَّدْ على عادات أخرى ، تحمله على الوعي بالوجود المشترك بينه وبين غيره .

و « القناعة » التي يوصف بها الانسان « القنوع » هي : « الرضى » بما يقع في يد الإنسان القانع وبما يقسم له من متع الحياة .

فإذا تطورت « القناعة » الى الرضاء « بما يفي الحاجة » من مال القانع كانت القناعة عندئذ خلقاً إنسانياً كريماً .. كانت فضيلة .. كانت إمارة قربى الى الله تعالى . فرضاء الإنسان بما قسم له في الحياة أو بما وقع في يده مما يدفع به الانسان حاجته في الحياة من أجل العيش ، هو في واقع الأمر : رضاء « بقدر الله » جل جلاله : « وأنه هو أغنى وأقنى » (النجم : ٤٨)

والرضاء بقدر الله هو طاعة الله وقربى اليه في الوقت نفسه . ولكن الرضاء بما يفي بالحاجة مما يملك القانع مع القدرة على مافوق الحاجة .. أي مع القدرة على الترف ، هو رضاء عن إرادة ومشيئة ، وليس رضاء عن عجز أو فقر . فهو أكثر قربى الى الله . وهو أدخل في إنسانية الإنسان ، إذا أنفق مازاد عن حاجته في سبيل الآخرين .. في سبيل حاجاتهم المتنوعة .

وهنا لايعد البخيل أو المقتر على نفسه وأهله ورحمه « قانعاً » أي صاحب رضاء بما يفي بحاجته مع القدرة فوق الحاجة . لأن البخيل يمسك ممازاد عن الحاجة لنفسه — وربما لنفسه فقط — فهو أناني يشبه ذلك الطفل صاحب « الشره » في جمعه لنفسه كل مايقع عليه بصره ، وإن لم تكن به حاجة . أما ذلك الذي يأخذ قدر حاجته من ماله ويترك الباقي منه لغيره فهو إنسان تمكنت منه الانسانية التي تتمثل في الوعي بوجود الآخرين معه ، وبحقهم في الحياة .

وهنا الآن ثلاث صور للإنسان في علاقته بما يحيط به من متع الحياة وإغراءاتها :

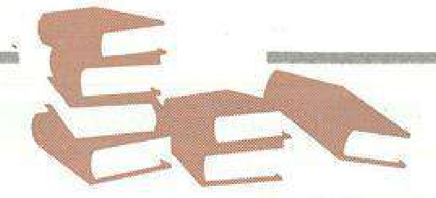
الصورة الأولى : للطفل في مرحلة طفولته . وهي صورة الأناني الشره في تحصيل مايستمتع به لحاجة أو غير حاجة .

والصورة الثانية : للإنسان الذي تجاوز مرحلة الطفولة ، ويرضى بما قسم له في الحياة وبما يصيبه من متعها . فهو إنسان طيع لله وراضٍ بقدره .

والصورة الثالثة : للإنسان الذي يرضى بما يفي بالحاجة من المال الوفير الذي يملكه ، على أن يترك الزائد لغيره . فهو لايرضى عن عجز وفقر ، وإنما عن قدرة وإرادة .. وانما عن تقرب الى الله وعن مزيد في طاعته . وهذه الصورة الثالثة تعكس الإنسانية وقيمها . لأنه اذا كان الانسان الطفل لم يزل بأنانيته وهواه وغرائزه في دائرة الحيوان فلا يعرف الا نفسه وذاته ، فهذا الإنسان الذي يشرك غيره فيما يملك : يوجد الآن في دائرة الإنسانية ، التي تقابل تماماً دائرة الحيوان في فصائله المختلفة ومن هنا كانت « القناعة » عن مقدرة : تقرباً للإنسان لما عليه المولى جل جلاله في غناه .

فإذا وصف سبحانه نفسه بالغنى ، على نحو مايذكر القرآن الكريم في قوله : « واعلموا أن الله غنى حميد » وفي قوله : « ومن كفر فإن الله غنى عن العالمين » .. فغناه جلت قدرته غناء ذاتي ، أي أنه اكتفى — ويكتفي — في وجوده بذاته ، وليست له حاجة الى غيره . والذي يقنع عن إرادة بما يفي بحاجته من ماله ، على أن يترك الباقي لغيره ، هو أشبه بأن يحقق لنفسه اكتفاءً ذاتياً . إنه يوم تكون له حاجة يحاول أن يستغني عن تلك الحاجة ، ولايسأل غيره . وهو إذ يحاول الاستغناء عن الحاجة وعدم سؤال الغير يستعين بالصبر وبالتحمل . فهو كريم على نفسه ، ولا يتركها لمذلة السؤال إن احتاج ، حين يعطي غيره إن مَلَكَ .

ARCHIVE
http://archive.sakhrit.com



بقلم : الدكتور محمد البهي

العفو .. والصفح

العفو ـ كصفة ممدوحة ـ ليس هو التنازل للآخر عن خوف أو جبن ، وإنما هو التنازل عن قدرة على البقاء على عدم الصفح في مواجهة من يعفى عنه . يقول الله تعالى ـ متحدثاً عن نفسه جل شأنه ـ في كتابه الكريم : « إن تبدوا خيراً أو تخفوه ، أو تعفوا عن سوء ، فإن الله كان عفواً قديراً » (النساء ١٤٩) فإنه يصف نفسه بالعفو ، مقترناً بوصفها بالقدرة في اللحظة ذاتها ، « فإن الله كان عفواً قديراً » .. ليشير إلى أن صفة العفو في الإنسان ـ وقد طلبه هنا : « أو تعفوا عن سوء » ـ لا تعد فضيلة له أو محل اعتبار وتقدير ، إلا إذا جاء العفو نفسه عن استطاعة في البقاء على عدمه ، مع تحمل مسئولية التشدد في الموقف .

وإذا كان العفو هو التنازل عن قدرة فلا يكون الدافع إليه : هوى النفس . بل ـ يجب أن تدفع إليه اعتبارات تتصل بالمجتمع ، أو بظروف من يقع منه العفو .

فمن الاعتبارات التي تتصل بالمجتمع ، حاجة من وقعت منهم الإساءة إلى معاونة من وجهت اليهم هذه الاساءة . يقول الله تعالى . « ولا يأتل (أي يحلف) أولوا الفضل منكم والسعة : أن يؤتوا أولي القربى ، والمساكين ، والمهاجرين في سبيل الله ، وليعفوا ، وليصفحوا ، « ألا تحبون أن يغفر الله لكم ، والله غفور رحيم » (النور ـ ٢٢) .. فقد نسب القرآن إلى بعض أصحاب الحاجة من الأقرباء ، والمهاجرين في سبيل الله ، ومن عداهم : أنهم شاركوا في إساءة تتصل بأصحاب الفضل واليسار في الأمة ـ وفي مقدمتهم أبو بكر رضي الله عنه ـ فبيت هؤلاء العزم وعقدوا اليمين على عدم مشاركة أولئكم في أموالهم ، وسد حاجاتهم منها . فجاءت الآية تتطلب العفو والصفح عن الاساءة التي وقعت ، وتطلب بالتالي : العودة إلى العلاقة التي كانت قائمة قبل ، وهي علاقة المعاونة والمساعدة لاعتبار انساني ، هو الرحمة بأصحاب الحاجة في المجتمع ، وفي ذلك مصلحة الأمة كلها .

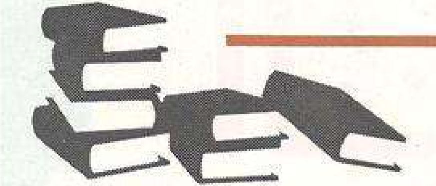
ومن الاعتبارات التي تتصل بالمجتمع أيضاً ، في شأن العفو : الابقاء على التماسك فيه ، والمحافظة على قوته في البناء . يخاطب القرآن رسول الله ﷺ بقوله : « فبما رحمة من الله لنت لهم ، ولو كنت فظاً غليظ القلب لانفضوا من حولك ، فاعف عنهم واستغفر لهم ، وشاورهم في الأمر ، فإذا عزمت فتوكل على الله ، إن الله يحب المتوكلين » (آل عمران آية ١٥٩) . ويطلب إليه العفو عمن تولى وهرب من المسلمين في « أحد » يوم التقى الجمعان ، حفاظاً على وحدة الأمة وقوتها في مواجهة أعدائها ، رغم أن هذا البعض الذي دفعه إلى التولي التعجل بالغنائم من الاعداء . ولم يطلب القرآن إلى رسول الله العفو فقط ، بل طلب مع ذلك منه استغفار الله لهم ، وإشراكهم في الرأي فيما يتصل بشئون الأمة ، إشعاراً لهم باعتبارهم وقيمهم فيها ، وتطميناً لنفوسهم . وقد سبق لله تعالى أن عفا عنهم فيما تحكيه آية أخرى : « إن الذين تولوا منكم يوم التقى الجمعان ، انما استزلَّهم الشيطان ببعض ما كسبوا ، ولقد عفا الله عنهم ، إن الله غفور حليم » (آل عمران آية ١٥٥)

وتعقب الآية بوصف الله : بأنه حليم ، بعد وصفه بأنه غفور ، لتفيد أن هؤلاء الذين أخطأوا يوم « أحد » بالانصراف إلى الغنائم وعدم الثبات في أماكن القتال التي حددت لهم قبل انتهاء الموقعة .. يجب أن تعطى لهم فرصة أخرى لاختبار قوة ايمانهم ، ولا يؤخذون بقبولهم لإغراء الغنائم بعد الجولة الأولى في الميدان . وللمصلحة العامة إذن أن يعفى عنهم .

ومن هذه الاعتبارات كذلك عدم التفريط في حق عام . فقد وجه القرآن لرسوله ﷺ فيما تذكره الآية : « عفا الله عنك ، لم أذنت لهم ، حتى يتبين لك الذين صدقوا ، وتعلم الكاذبين » (التوبة ٤٣) .. أن الله قد عفا عنه ، وأنه ماكان ينبغي له أن يجيب بعض المؤمنين ـ وهم في حقيقة أمرهم من المنافقين ـ إلى ما طلبوا من القعود عن القتال . فالعتاب الذي يوجهه القرآن إلى الرسول ـ ﷺ ـ خاص بسياسة الأمة ومصلحتها في وقت الحرب والقتال . والسياسة الحكيمة في هذا الوقت : هي التعرف على العناصر الانتهازية في الداخل التي تضمر العداء للايمان بالله في الواقع ، وتتستر وراء اعلان الايمان ، ولا تتردد في هذا الوقت أن تتآمر ضد الأمة وسلامة أمنها . والتعرف على هذه العناصر من حق الأمة والمصلحة العامة ، قبل حق القائد فيها . ولذا لا ينبغي السماح بما يعوق هذه المصلحة . فعفو الله إذن عن الرسول كان تطميناً لخاطره فقط . ولكنه أكد حق المصلحة العامة بعتابه ، وبتوضيح خطورة الأمر ، فيما لو عدل عن السياسة الواجبة الاتباع في هذا الوقت . وقد كشف أمرهم في قوله : « لو كان عرضاً قريباً وسفراً قاصداً لاتبعوك ، ولكن بعدت عليهم الشقة وسيحلفون بالله لو استطعنا لخرجنا معكم ، يهلكون أنفسهم ، والله يعلم : إنهم لكاذبون » (التوبة ٤٢) .

وإذن : ليس العفو تنازلاً عن عجز وليس تفريطاً في مصلحة عامة . وليس العفو لشهوة النفس وهواها . العفو عمل إنساني لمصلحة الفرد ، ولمصلحة الأمة ممن يستطيع أن يقدمه .

ARCHIVE http://archivebeta.sakhrit.com



بقلم : الدكتور محمد البهي

الدعاء لله

كثير من المسلمين – فى حاضرنا – يتجهون الى الله بالدعاء ، ويتضرعون اليه كى يحقق لهم رغبة من رغباتهم اليومية ، أو رغبات العمر ، ثم ينامون على أمل ، ويصبحون فلا يرون شيئاً تحقق . ثم تمر الأيام ولم يفقدوا الأمل بعد ، ويضيفون الى دعائهم بالأمس وأمس الأول دعاء اليوم ، وغد ، وبعد غد . وتظل النتيجة هى النتيجة .. تظل الرغبة فى حيز الرغبة ، ويظل الأمل فى حيز الأمل ، وواقع الحياه لا أثر فيه لرغبة أو أمل . وأخيرا يرجعون الى قول الله تعالى : « وقال ربكم : ادعونى استجب لكم » .. وكذا الى قوله : « وإذا سألك عبادى عنى فإنى قريب أجيب دعوة الداع اذا دعان فليستجيبوا لى ، وليؤمنوا بى لعلهم يرشدون » (البقرة ١٨٦) . ويقفون عند ذلك . وربما تجول بخاطرهم هواجس شك ، أو على الأقل تدور فى نفوسهم حيرة : هم سألوا الله سبحانه على نحو ماذكر القرآن ، ولم يستجب كما وعد ، أيضاً فيما ذكره القرآن . ولكنهم لم يسألوا أنفسهم أولاً : هل هم عباد الله ، كما تنطق الآية الثانية ذاتها : « وإذا سألك عبادى عنى فإنى قريب » ؟ إنهم لم يسألوا أنفسهم . ولو سألوها ، ثم سألوا القرآن الكريم عن عباد الله لعرفوا حقيقة الأمر : لماذا كانت حيرتهم ؟ إذ يقول الله فى كتابه فى شأن عباده : « ياعباد ! لاخوف عليكم اليوم ، ولا أنتم تحزنون . الذين آمنوا بآياتنا وكانوا مسلمين » (الزخرف ٦٨ ، ٦٩) فيؤمن الله عباده – فى الحياة – من الخوف ومن الحزن معا ، فعباد الله لايصل إليهم قلق نفسى بسبب الخوف من شئ .

فالإيمان الصادق بالله ، والتطبيق الواعى لمبادئه – كما جاء القرآن الكريم بهذه المبادئ – هو الأساس فى الوصف بعباد الله ، وهو الأساس بالتالى فى استجابة الله لدعاء عباده .

وصدق الايمان هو نتيجة امتحان واختبار لما فى الحياة التى نعيشها من فتنة وبلاء ، وإغراء وشدة معاً ، سواء أكان إغراء الجاه والمال ، والولد ، والمرأة .. أو كانت شدة الضيق ، والفقر ، والمرض ، ويصور الايمان الصادق مايحكيه القرآن عن تحدى الله سبحانه لإبليس فى أنه لايستطيع أن يكون له أثر على عباد الله ، لصدق ايمانهم بربهم وحسن ثقتهم فيه ، وتوكلهم عليه ، فيما يذكره بقوله :

« واستفزز من استطعت منهم (أى من الذين يخف إيمانهم فيتبعون الشيطان أو الهوى والشهوة) : بصوتك (أى بصوت دعايتك ، ووعدك ، ووعيدك) وأجلب عليهم بخيلك ورجلك (أى بكل ما أوتيت من أنواع القوة الهادية) وشاركهم فى الاموال والأولاد (أى مشاركة شيوع) وعدهم ، وما يعدهم الشيطان إلا غروراً . إن عبادى ليس لك عليهم سلطان ، وكفى بربك وكيلاً (الاسراء ٦٤ ، ٦٥) فيعطى الله لإبليس الفرصة فى أن يستخدم كل وسيلة للإغراء من الأموال ، والأولاد ، والوعود الخادعة .. وكل وسيلة أخرى للارهاب من القوة المادية فى العدد والعدة ومن قوة الإذاعة والاعلام ، وذلك للحيلولة دون الايمان بالله . فمن عدا عباد الله عرضة لقبول تأثير الاغراء ، أو الارهاب . أما عباد الله بإيمانهم بالله ، وتوكلهم عليه سبحانه .. فهم بمنجى من هذا التأثير .

والغرض من حوار إبليس – مصدر الشر – مع الله سبحانه وتعالى هنا هو تصوير أن الدنيا بمفاتنها وإغرائها ، وكذلك بما يقع فيها من اكراه ، وارهاب ، من شأنها أن تؤثر على ضعاف الايمان ، دون أقوياء المؤمنين .

والتطبيق العملى الواعى لمبادئ الايمان الصادق يحكيه قوله تعالى فى وصف سلوك عباد الله : « وعباد الرحمن الذين يمشون على الأرض هوناً ، وإذا خاطبهم الجاهلون قالوا : سلاماً . والذين يبيتون لربهم سجداً وقياماً ، والذين يقولون : ربنا اصرف عنا عذاب جهنم إن عذابها كان غراماً . انها ساءت مستقراً ومقاماً . والذين اذا أنفقوا (أى على أنفسهم وأهليهم) لم يسرفوا ، ولم يقتروا وكان بين ذلك قواماً . والذين لايدعون مع الله إلها آخر ، ولا يقتلون النفس التى حرم الله ، الا بالحق ، ولايزنون .. الى أن يقول : والذين لايشهدون الزور ، وإذا مروا باللغو مروا كراما . والذين اذا ذكروا بآيات ربهم ، لم يخروا عليها صماً وعميانا . والذين يقولون : ربنا هب لنا من أزواجنا وذرياتنا قرة أعين واجعلنا للمتقين إماما » (الفرقان ٦٣ – ٧٤) .

فعباد الله هم :

الذين لايزهون بأنفسهم خيلاء وكبرا .

والذين يغضون الطرف عن أخطاء الحمقى

والذين يحافظون على أن يكون ليلهم قربى الى الله وعبادة اليه ، دون أن يكون لمؤامرة أو تدبير سوء

والذين هم يعتدلون فى انفاق مالهم محافظة على ذويهم وأقربائهم من بعدهم ، ورعاية لأصحاب الحاجة عداهم فى وجودهم .

والذين لايباشرون الجرائم الاجتماعية

والذين لايشهدون بالزور

ولا يقضون قليلاً أو كثيراً عند لغو القوم

والذين اذا ذكروا بآيات الله فى مشورة تقدم اليهم لم يغفلوا شأنها .

والذين يتجهون الى الله فى شئونهم الخاصة فى : أن يسعدهم فى بناء أسرهم ، وتوجيه أولادهم .

فمن ليس من عباد الله من المسلمين اليوم لاينتظر استجابة الدعاء الى الله ، لأنه – من ليس من عباد الله – حول دعاءه الى الله : الى « شعار » فقط . والدعاء الى الله هو : ختام عمل ، وليس بداية قول .

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com